

Gaylord

PAMPHLET BINDER

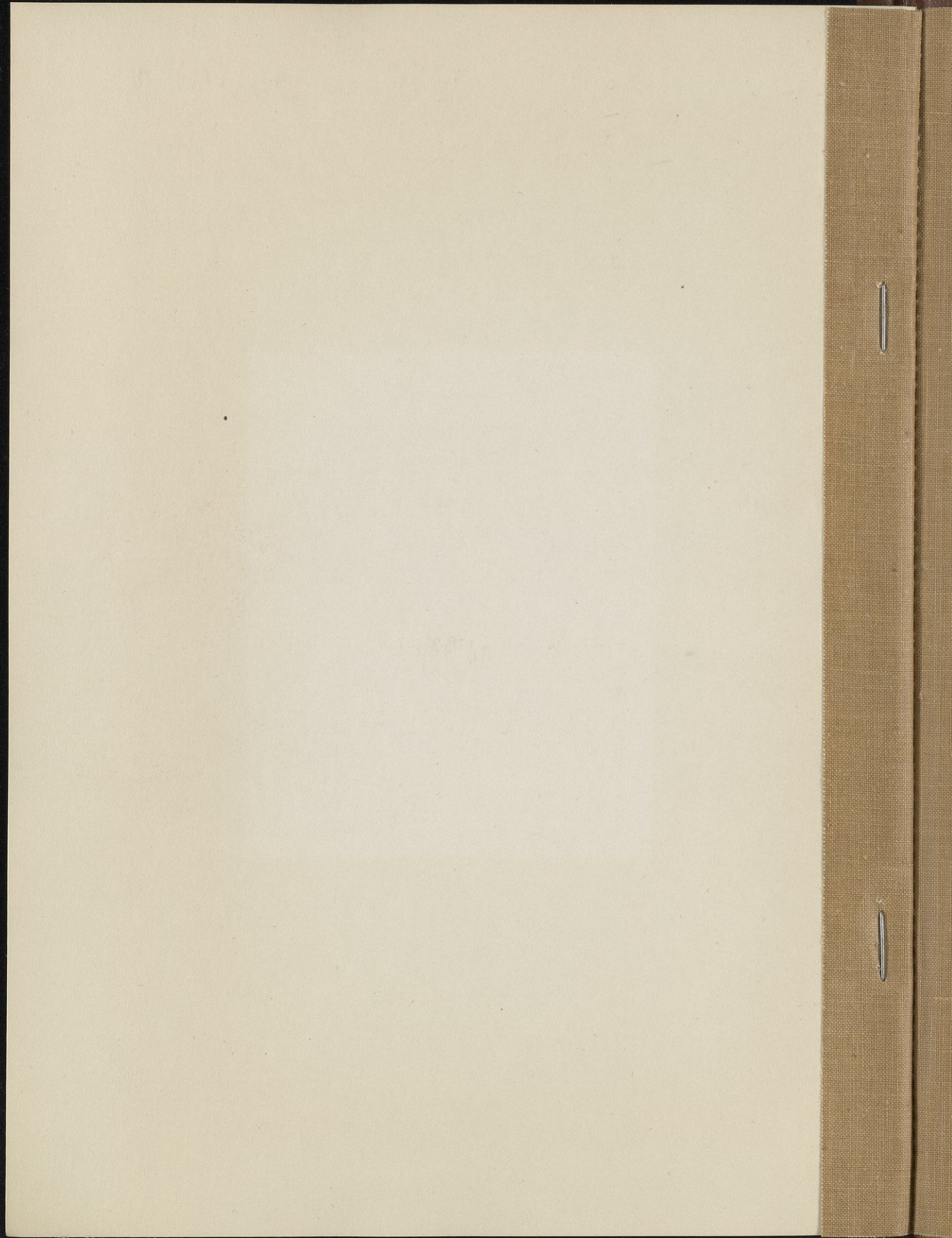
Syracuse, N. Y.

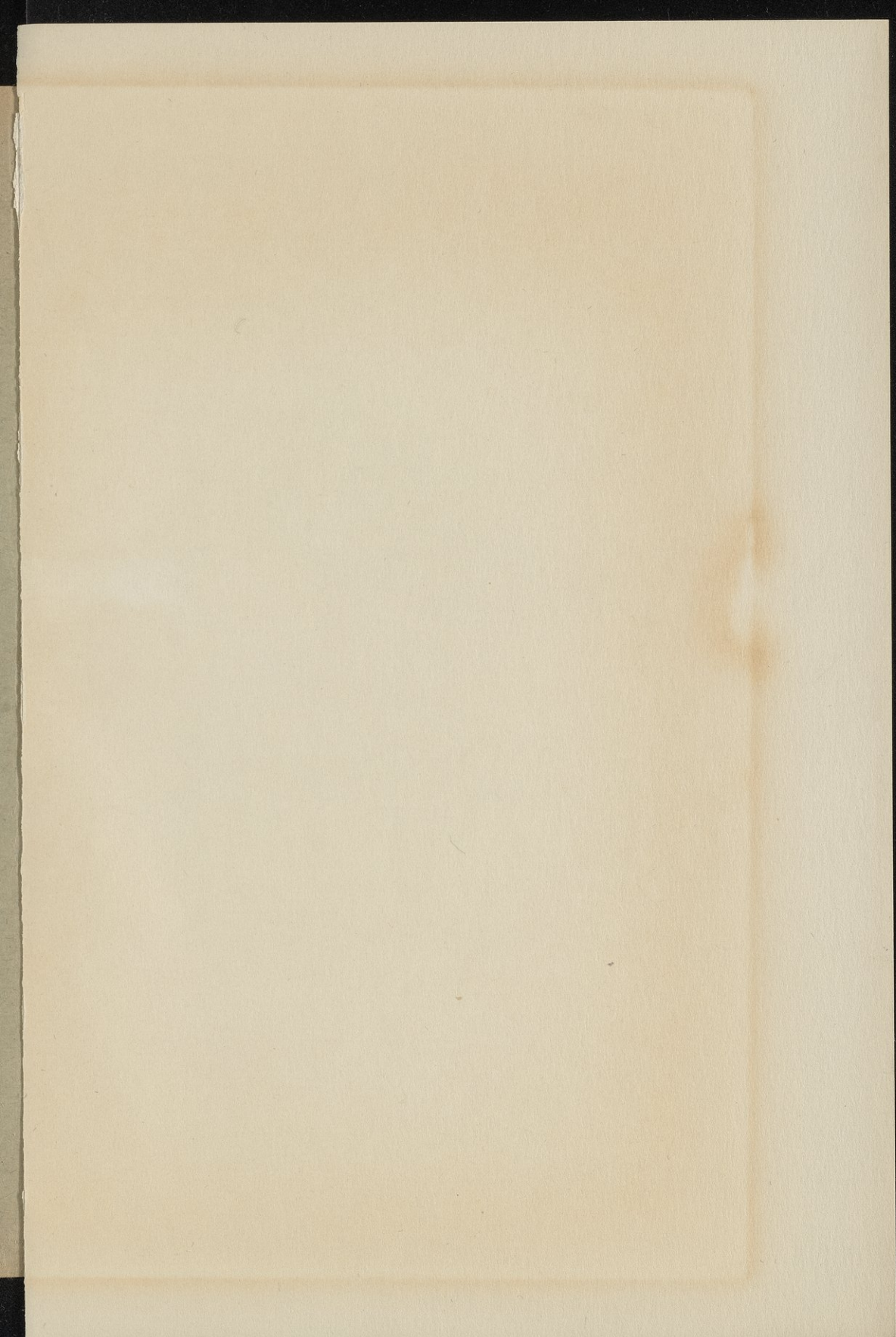
Stockton, Calif.

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







قَارِيْنٌ فِي عِلْمِ كِتَابِ

بمَجْدِ كَامِلٍ

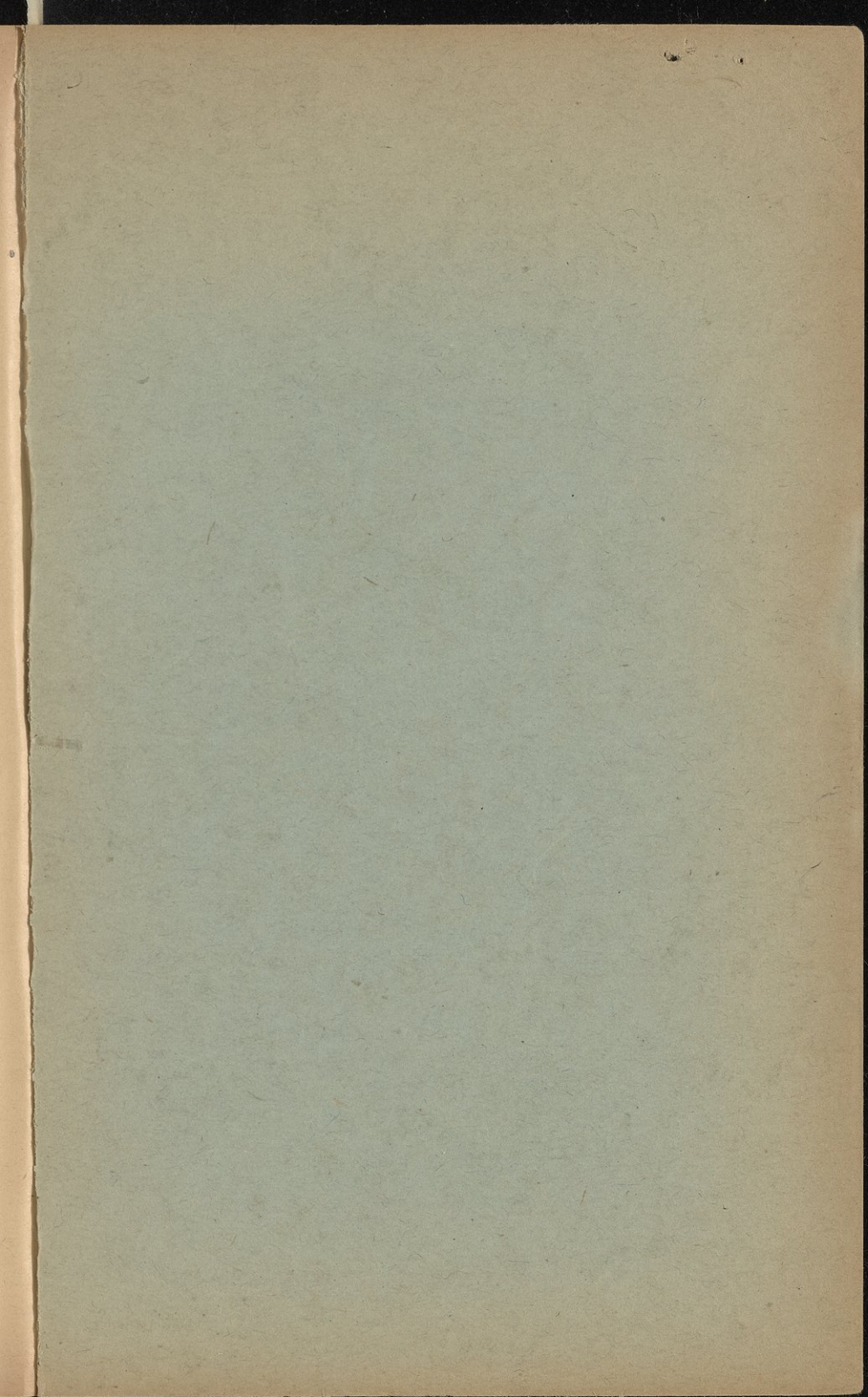
الْحَامِي بِالْقَضِ وَالْأُبْرَامِ

١٩٤٩

عن دار الجامعة للطبع والنشر

٤٧ شارع قصر النيل تليفون ٤٣٧٢٨

الثنى ٥ قروش



قَارِيْبُنْ عَشْرَتِكْتَبْ

محمود كامل

الحامى بالنقض والأبرام

١٩٤٩

عن دار الجامعة للطبع والنشر

٤٧ شارع قصر النيل تليفون ٤٣٠٢٨

893.785

K 128

للمؤلف

كتب ودراسات قانونية واقتصادية

مصر الغد تحت حكم الشباب : برنامج للإصلاح السياسي والاقتصادي
(١٩٣٩)

السيادة المصرية وموقف مصر كعضو في أسرة الدول : بحث في معاهدة
التحالف والصداقة بين مصر وإنجلترا : مجلة « المقتطف » .

لائحة بيوت العاهرات والأوامر العسكرية المكتملة لها : بحث قانوني
مقارن في التشريعات الخاصة بالرقيق الأبيض : مجلة « القضاء المصري »
أسماء بارزة في تاريخ المحاماة بفرنسا : دراسة « بيوجرافية » لطائفة من
أشهر المحامين الفرنسيين : مجلة « المحاماة » .

يوميات محام مصري : الجانب الإنساني من حياة المحاكم
مكتبة النهضة (١٩٤٤)

العمل لمصر : بعث دولة وإحياء مجد - دار الجامعة (١٩٤٥)

أشهر القضايا المصرية - دار الجامعة (١٩٤٦)

وحدة مصر والسودان في فقه القانون العام : مجلة « الجامعة » ، (١٩٤٦)

حرب مئة العام في فلسطين : مجلة « الجامعة » ، (١٩٤٨)

ملاحظات

حسن : ترجمة عن Elroy James Flecker . اشتريتها شركة ترقية التمثيل

العربي (١٩٢٤) .

الوحوش : مثلت على مسرح رمسيس سنة (١٩٢٦) . درامة مصرية
فاطمة : , , , حديقة الأزبكية سنة (١٩٣٩) . درامة مصرية
سافو : , , , الأوبرا الملكية سنة (١٩٢٥) ترجمة عن

Alphonse Daudet

المنتقم : , , , برتانيا سنة (١٩٣٦) مقتبسة عن مسرحية

Emile Fabre لـ Un Grand Bourgois

الأفاعى : مقتبسة عن مسرحية Emile Fabre لـ La Maison d'Argile اشترتها

الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى (١٩٣٧)

حياة الظلام : قصة سينيمية أخرجتها شركة مصر للتمثيل والسينما (١٩٤٠)

أدب وقصص

روبين هود : ترجمة عن الإنجليزية مكتبة حسين حسنين

صيحات جديدة فى النقد والفن والأدب : دراسات أدبية وملخصات

مسرحية (١٩٣١)

المتهمون : مجموعة قصص مصرية دار الترقى (١٩٣٢)

فى البيت والشارع : مجموعة قصص مصرية المكتبة المصرية (١٩٣٢)

المسرح الجديد : مجموعة ملخصات مسرحية دار الهلال (١٩٣٢)

٨ يوليو : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٣)

بائع الأحلام : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٥)

أول يناير : , , , دار الجامعة (١٩٣٦)

٣ : , , , دار الجامعة (١٩٣٦)

أنت وأنا : ترجمة عن كتاب Paul Cerlady لـ Toi et moi ومجموعة

قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٧)

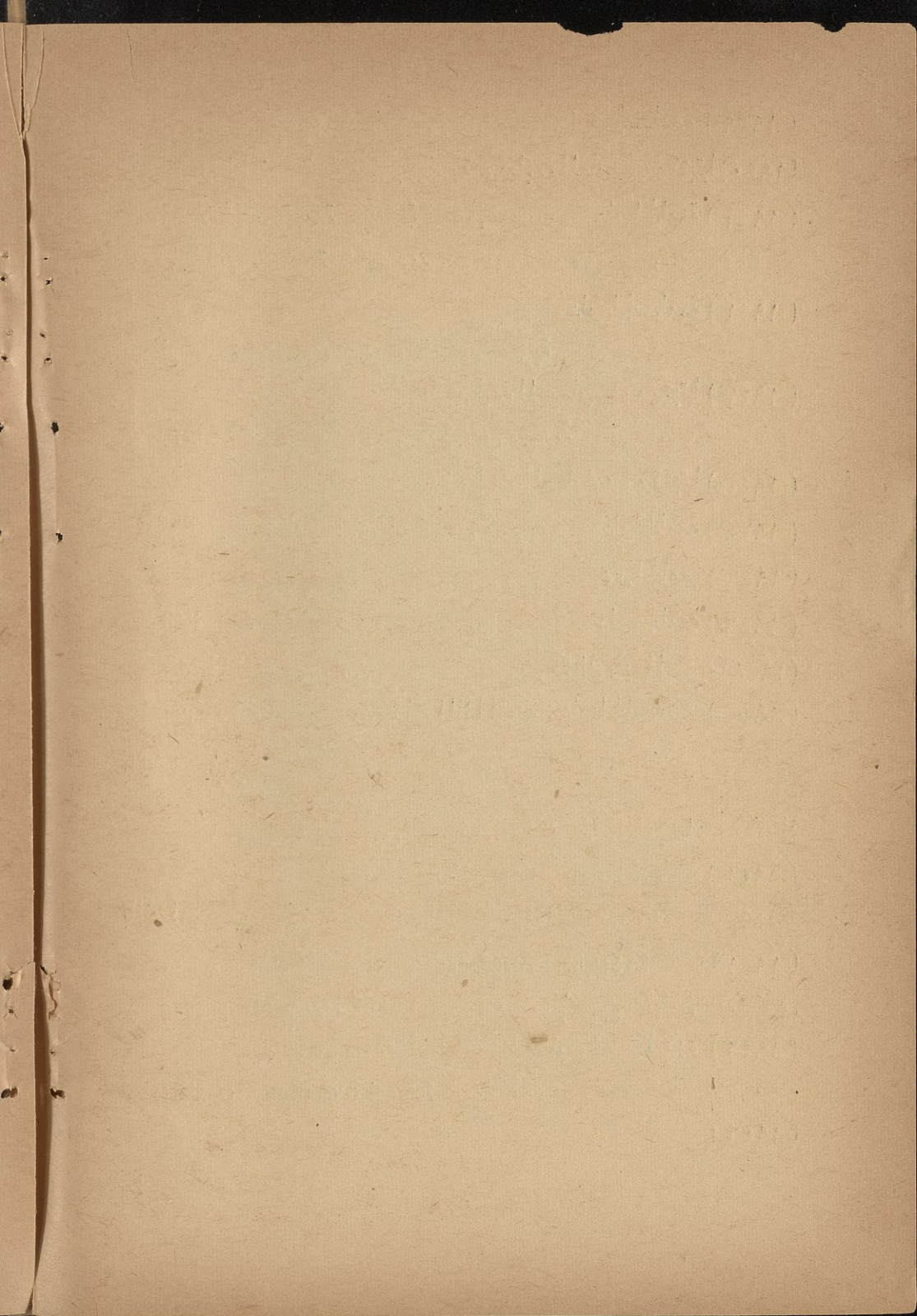
- الربيع الآثم : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٩)
 حياة الظلام : قصة مصرية طويلة - مطبعة المعارف ومكتبتها (١٩٤٠)
 زوبعة تحت جمجمة : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٤١)
 عيون معصوبة : شعر منشور ومجموعة قصص مصرية
 دار الجامعة (١٩٤١)
 الرجال منافقون : مجموعة قصص مصرية
 مطبعة المعارف ومكتبتها (١٩٤٢)
 حطام امرأة : مجموعة قصص مصرية
 مطبعة المعارف ومكتبتها (١٩٤٣)
 لاعبات بالنار : مجموعة قصص مصرية دار الجامعة (١٩٣٤)
 فتيات منسيات : » » » دار الجامعة (١٩٤٦)
 القافلة الضالة : » » » دار الجامعة (١٩٤٦)
 آبار في الصحراء : » » » شركة التوزيع المصرية (١٩٤٨)
 بين حطام ألمانيا : رحلة الى المانيا المحتلة . دار الجامعة (١٩٤٩)

بالإنجليزية :

- Blue Winge : مجموعة قصص مصرية - تولى ترجمتها إلى الإنجليزية الأستاذ
 جيرالد براكنبري دار الجامعة (١٩٤١)

بالفرنسية :

- Zahira : مجموعة قصص نشرتها La Semaine Egyptienne (١٩٤١)
 L'Action Egyptienne : مجموعة دراسات عن الإصلاح السياسي والاجتماعي
 ترجمها إلى الفرنسية الأستاذ بلاتون فالاسكا كيس (١٩٤٦)
 Journal d'un avocat Egyptien : ترجمة كتاب « يوميات محام مصري »
 (١٩٤٦)

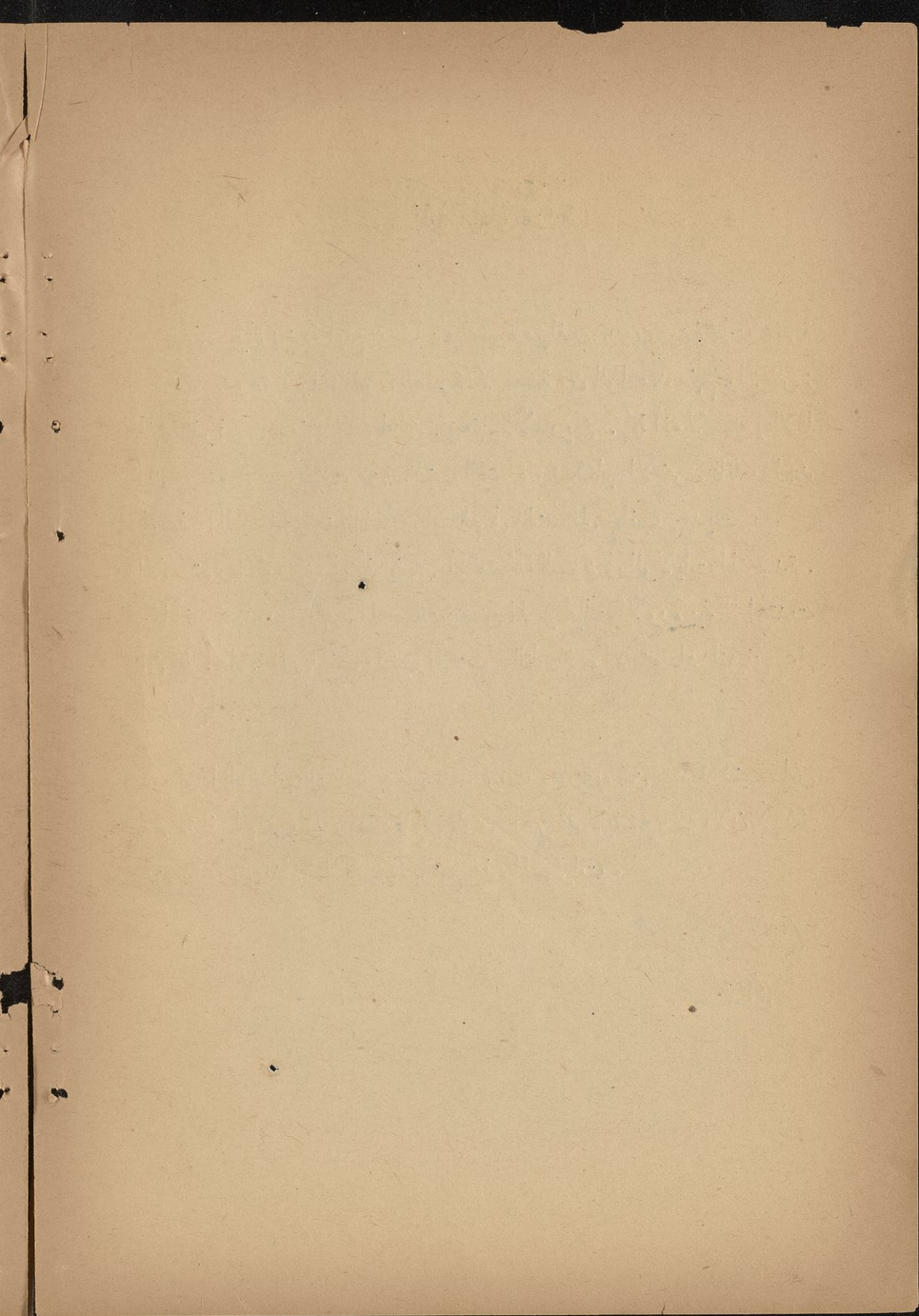


مقدمة المؤلفين

هذه حياة بضعة أيام عشتها مع عشرة مؤلفين . بين صفحات عشرة كتب . وهؤلاء المؤلفون العشرة لا صلة بين الواحد منهم والآخر : فمنهم الفرنسي . ومنهم الانجليزى . ومنهم الأميركي . كما أنه لا صلة إطلاقاً بين موضوع كل كتاب من الكتب العشرة والكتاب الآخر . فانك واجد في هذه الملخصات حديثاً عن الاسلام في الهند الى جانب حديث عن الاستعمار الاوروبى فى إفريقيا . أو مشكلة السود فى الولايات المتحدة . كما أننى قصدت أن أقدم ملخصات بعض المسرحيات الأوروبية التى اعتدت أن أقرأها . الى جانب كتب الأدب والتاريخ والاقتصاد لتعيني على استيعابها .

هذا الكتاب إذن نوع من « مذكرات » قارىء عن عشرة كتب عاش مع مؤلفيها بضعة أيام فقدمها الى قارىء آخر قد لا يتسع وقته الآن لاكثر من ساعة وبعض الساعة يعيشها مع هذه المذكرات .

محمود كامل
المجسنى



الإسلام أمام العالم الحديث

L' ISLAM DEVANT - LE MONDE MODERNE

هذا كتاب ظهر حديثاً في فرنسا وقد ذكر مؤلفه Alphonse Gouilly في مقدمته «ان الإسلام كما يتضح من القرآن قاعدة من قواعد حياة الفرد، ولما كان الفرد يعيش في المجتمع مندجاً مع غيره من الجماعات الانسانية فان الاسلام لم يكن دائماً يعد مذهباً دينياً فحسب بل حقيقة سياسية، والغرض من هذا البحث هو اظهار حقيقة القوة المادية للاسلام في الظروف الحاضرة، وهذه القوة يمكن أن تستخدم نفسها. أو يستخدمها الغير. اعنى أنها يمكن أن تعمل لحساب نفسها مستقلة. أو يمكن أن تتعاون معها الدول الكبرى العالمية على العمل، والأراضى التي ينتشر فيها الإسلام من الأراضى التي تستعمرها الدول الغربية، وقد نتج عن ذلك أن تطور حالة المسلمين السياسية أصبح من عوامل المسألة الاستعمارية» .

ويبدو من هذه الفقرة من مقدمة المؤلف أنه توفر على دراسة الإسلام في العصر الحديث لكي ينير لفرنسا ولغيرها من الدول الاستعمارية طريق المشا كل التي تعترضها بسبب يقظة المسلمين، وتنبيههم إلى حقوقهم التي هضمتها السياسة الاستعمارية، ولذلك تعمد في كثير من فصول الكتاب أن يذكر الحقائق التاريخية عن كل قطر اسلامي تعرض له وان يندد - في تفكيره على نزيه - بمبادئ الدول الغربية واثامها التي ارتكبتها في الأقطار الإسلامية.

ومن فصول الكتاب التي تهتم العالم الاسلامي في الوقت الحاضر فصل
أفرده « الفونسي جويي » عن « الهند » التي لاتزال الأنباء ترد تباعا بالمذابح
التي ترتكب فيها بين المسلمين والهندوس بعد إنشاء دولتي « الباكستان »
« والهندستان » ، وقد بدأ هذا الفصل بان قرر أنه « إذا كانت بريطانيا العظمى
تبدى قلقا مما يحدث في فلسطين ، وإذا كانت تبذل جهوداً تستنفد الصبر
لكي تصل إلى حل سلمي لكل مشكلة تعترضها مع أية دولة في العالم وخاصة
مع العرب ، فانها انما تفعل ذلك لكي تتلافى الأثر السيء الذي يحدثه غضب
هؤلاء العرب في رعاياها المسلمين بالهند ، فهؤلاء المسلمون الهنود يبلغ عددهم
تسعين مليوناً أي ٢٣٪ من مجموع سكان الهند وأكثر من ثلث مسلمي العالم
وهم موزعون على كافة انحاء الهند ولكن نفوذهم هو النفوذ الغالب في
أربع ولايات وهي البنغال Bengale وكاشمير Cachemire وبنجاب Punjab
وولايات الشمال الغربي ، وجغرافية الهند تفسر توزيع المسلمين على انحاء
الهند المختلفة ، فقد غزا الاسلام الهند عن طريق الافغان وبلوخستان ولذلك
نرى الإسلام منتشرًا على الحدود المشتركة بينهما وبين الهند ، ولكن مما
يشير الدهشة أن نجد في شرق الهند . أي في بنجال الشرقية . أن نسبة المسلمين
تبلغ ٦٦٪ من مجموع عدد سكان الولاية ، ووجه الدهشة أن الغزاة
المسلمين قد تجاوزوا دلتا نهر جانج Gange بعد أن عبروا بحر خيبر ، ولم يكتفوا
بالاستقرار في الأرض التي كانت مسقط رأس بوذابل أنهم تناسلوا وتكاثروا
فيها حتى أصبحوا غالبية السكان فيها ، وقد فسر الأستاذ ده جرانجينوف
de Grangeneuve في محاضرة القاها عن « الإسلام في الهند » هذه الظاهرة
بان الإسلام لم يلتق هناك إلا باجناس منغولية لم تصلها الحضارة
البرهمانية ، وعلى العكس من ذلك نجد أن الولايات المتعصبة للبرهمانية

كراجبوتانا Ragputana وبيبار Bibar لا تزيد نسبة المسلمين فيها عن ١٢ ٪ من مجموع السكان ، وكلما اتجهنا إلى الجنوب كلما قلت نسبة المسلمين . وفي ولاية ميسور Mysore لا تزيد النسبة عن ٦ ٪ رغم الجهود العنيفة التي بذلها في القرن الثامن عشر سلاطين سير ينجا باتام Seringapatam وأشهرهم « تيبو صاحب » لنشر الإسلام .

ولكن هذا التوزيع الجغرافي للمسلمين في الهند له استثناء يبدو في شاطيء شبه الجزيرة الهندية الغربي الذي كان يرسو عليه البحارة العرب شتاء لملاءمة أحواله الجوية لسفنهم في هذا الفصل من السنة ، كما كانوا يرسون صيفا على شاطيء مدغشقر ، وقد انشأ العرب على تلك الشواطئ مؤسسات لا تزال باقية ، ولكنهم لم ينشروا الحضارة الاسلامية في الأنحاء البعيدة عن الشواطئ في داخل الهند ، وهذه الظروف الخاصة تلتقي الضوء على توزيع المسلمين على أنحاء الهند ، فنواة هؤلاء المسلمين الأولى جماعة من الهندوس ينتمون الى أصل آري أو الى أصل درافيدى Dravide وهي القبائل التي في عروقها آثار دماء زنجية وتقطن جنوب آسيا من الهند الى آنام والتي اضطهدتها البراهمة وعاشت دائماً في مستوى اجتماعي أحط من مستواهم ، ونخبة المسلمين في الهند التي توجه نشاطهم تتكون من بضع مئات من الآلاف من العرب والفرس والتركان المغول وعلى الأخص من ست ملايين من الأفغانيين الذين يمثلون أعرق وأقوى جماعة اسلامية في الهند ، واللغات التي يتفاهم بها المسلمون الهنود مختلفة اختلافا كبيرا فقد ظلت اللغة الفارسية لغة رسمية الى عام ١٨٣٧ ولا يزال أهل بعض الولايات يتحدثون بها الى جانب اللغات العربية والأردية والهندوستانية والتاميلية ، ولا يوجد في الهند مكان واحد يعيش فيه المسلمون والهندوس مفترقين . بل ان الاندماج بين الجماعتين

وصل الى حد أن ولاية حيدر آباد التي للهندوس بها أغلبية يحكمها أمير مسلم هو نظام حيدر آباد ، بينما ولاية كاشمير التي لا يكاد يسكنها إلا المسلمون يحكمها أمير من طائفة السيخ . وهي طائفة هندوستانية ، وبالرغم من تفرق المسلمين في داخل الهند فانهم يكونون وحدة سياسية متجانسة بالنسبة للشعوب الهندوسية التي يجهل كل منها الآخر ويحتقره بل يحقد عليه في أغلب الأحيان . وقد تبين الانجليز منذ استقروا في الهند قوة مسلميها فبدأوا باضطادهم اضطهاداً بلغ الى حد التوحش في بعض الأحيان . وهنا يقسم الاستاذ ماسينيون Massignon « في كتاب دليل العالم الاسلامي » Annuaire du Monde Musulman عصر اضطهاد مسلمي الهند الى ثلاث فترات

ففي الفترة الأولى ألغيت اللغة الفارسية الرسمية عام ١٨٣٧ وقمعت أطماع المغول السياسية قمعاً نهائياً عام ١٨٥٧ وأوقف تعيين القضاة الشرعيين عام ١٨٦٤ .

والفترة الثانية بدأت عام ١٨٧٥ بإنشاء الكلية الانجليزية الاسلامية في اليجار Aligarh . وحاول الانجليز في هذه الفترة الثانية إغراء العناصر الاسلامية وكان أهم المؤسسات الاسلامية جماعات خدام السكبة ، وقد انشأ أغاخان عام ١٩٠٦ « رابطة الهند الاسلامية الكبرى » ومن برنامجها « الحصول على حق المسلمين في أن يكون لهم ممثلون في الإدارات الإقليمية والمجالس البلدية وأن يضمن لهم الحصول على نسبة أكبر في الوظائف الهامة » وهذه الرابطة هي التي غذت بلا شك شعور مسلمي الهند بالتضامن والتساند . وأسباب هذه السياسة واضحة فهي تلخص فيما صرح به لورد ايلفينستون Elfinstone عند ما كان حاكماً لبومباي فقد قال :

« فرق تسد . كان شعار الدولة الرومانية القديمة . فليكن شعارنا ! » .

ولقد اعتمد البريطانيون في الواقع على الحزبات بين الجماعات التي تختلف
جنساً وديناً ؛ وبين الأحزاب والطوائف ، وعلى التباين العميق بين أشكال
نظم الحكم التي تفرض على جهات الهند المختلفة ... اعتمد البريطانيون على
هذا كله في تثبيت دعائم سيطرتهم . فلم يكن هؤلاء البريطانيون في حاجة إلى
اثارة العامة من إحدى طائفتي الهند لكي تتحرش بالعامّة من الطائفة
الأخرى بل إن المشكلة الحقيقية كانت في منع المشاحنات الدامية بعد أن
تنشب بينهما ! ولكن هذا كله لا يعني أن الخلافات الدينية قد أنست الهنود
استقلالهم السياسي وسيادتهم الوطنية ، بل بالعكس بدا جلياً أن الطبقات
المثقفة من الهنود وضعت المشكلة الوطنية والسياسية في الاعتبار الأول .
فالهندوس والمسلمون يعدون على السواء أعداء للبريطانيين لأنهم سواء في
المطالبة بالاستقلال .

ولقد تبين حزب المؤتمر الذي كان يتزعمه (غاندى) أن المسلمين قد
يشعرون بأنهم أقلية ، وقد يحيل إليهم أن خروج البريطانيين ينتج عنه تحكم
الأغلبية الهندوسية فيهم ؛ فطالب بإنشاء دولة هندية واحدة ، على أن يكون
تمثيل طوائف السكان بنسبتهم العددية .. ولكن الرابطة الإسلامية التي كان
(جنه) يرأسها أبت أن تخضع لحكومة هندوسية . ودعت إلى إنشاء دولة
الباكستان التي ظهرت في أسرة الدول أخيراً ... ولقد كان أول من فكر
في إنشاء دولة الباكستان عام ١٩٣٣ زعيم من مسلمي البنجاب يدعى
(رحمة رحمة علي) وقد اقترح إذ ذاك أن تضم هذه الدولة ولايات البنجاب
والسند وبلوخستان والولايات الشمالية الغربية ... وقد وصف الزعيم المسلم
الراحل (جنه) لمراسل صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»
الأمريكية في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٤١ مشروع إنشاء دولة هندية واحدة بأنه

« لا يمكن تنفيذه بسبب أوجه الخلاف العديدة بين الهندوس والمسلمين .
وليس هذا الخلاف بينهم وبيننا فحسب ، فهم يختلفون تاريخياً وثقافياً
 واجتماعياً ؛ بل أنهم على طرفي نقيض . . والواقع أن الهند ليست
 كما أنها ليست دولة ذات وحدة جنسية ، بل انها تتكون من عدة جنسيات
 فالهندوس والمسلمون منذ زمن بعيد أمتان مختلفتان . ولا يوجد
 إلا فصلنا ، لأن تولى الهندوس السلطة السياسية معناه الحلول إلى حد
 في هذه السلطة محل البريطانيين ثم الاستئثار بها نهائياً ... كيف يمكن تأليف
 حكومة واحدة إذا كان تسعون مليوناً من المسلمين في جهة ومائتان وخمسون
 مليوناً من الهندوس في الجهة الأخرى ليسوا متفقين على طرق وضع
 الدستور ولا على الدستور نفسه ؟ »

ولكن المعسكر الاسلامي يضم أنصاراً للتقرب بين طائفتي الشعب
 الهندي ، ففي الهند حزب إسلامي قديم أسس على النظم النقابية يرأسه
 عبد الغفار خان الذي نادى دائماً بالتحالف مع أى شخص في الهند حتى مع
 الهندوس العدو التقليدي ! « لطرد الذين يسودون الوطن ويقصد الانجليز
 وهذا التحالف يناصره الجناح الأيسر من الرابطة الاسلامية ويجب أن
 أضيف هنا أن مسلمي الهند رغم متاعبهم الداخلية التي تشغلهم فانهم
 لا ينسون أنهم مع مسلمي العالم اخوه ، فان عدد الذين يحجون منهم إلى بيت
 الله في كل عام لا يقل عن خمسة عشرة الفا ، وهؤلاء الحجاج يجدون في
 المدن المقدسة جالية هندية تقيم بها على الدوام ، وبما قد لا يعرفه الكثيرون
 وان كانت له دلالاته اهتمام نظام حيدر آباد بالمسائل التركية فان هذا الأمير
 قد نشر النفوذ « العثماني » في الولايات التي يحكمها ، وقد قيل إنه على استعداد

س والمسلماء آل عثمان بالمال لكي يستعيدوا حقوقهم السابقة ، كما أن مسلمي
تاريخياً وثقافياً أبدو في أكثر من مناسبة تأييدهم للمسلمين في الخارج ، فقد أعلن
د ليست ، اجتماع المؤتمر الهندي عام ١٩٤٣ استنكاره للعاملة التي شاء اتحاد
ة جنسيات افريقيا أن يعامل بها الملونين من رعاياه والتي تقوم على التفرقة بين
و الملونين ، وقد يكون موقفه من هذا الموضوع راجعا إلى اعتبارات
بالتضامن بين أبناء الجنس الواحد لا إلى التضامن الديني فان مسلمي
قد أصدروا في اجتماع نفس المؤتمر قرارا بالاحتجاج على الاتجاهات
دت في بريطانيا تحت ضغط حكومة الولايات المتحدة لانشاء دولة
و خمسو
ية في فلسطين ، كما أنهم أيدوا لبنان في طلبه إخراج القوات الفرنسية
ق وضو
أراضيه ، وقد طالب مسلمو الهند بانشاء اتحاد بين الدول الاسلامية في
رق ، بل ظهر بين بعض المتطرفين من الهنود المسلمين حزب أطلق على
الشعب
سه إسم « القمصان السمر » ، يترجمه الأستاذ حمادة الله جان ، الكاتب الهندي
رأسه
عروف يدعو إلى إنشاء دولة إسلامية تترجمها الهند وتضم الدول الاسلامية
ق مع
يها ، وقد أسس هذا الحزب عقب رحلة قام بها الأستاذ حمادة الله في
كلين
لانيا عام ١٩٢٨ ، وتنظيمه الداخلي قائم على الأسس العسكرية ، واتباعه
أن
طلق عليهم إسم « العسكر » ، وهدفه العمل على رقي المسلمين وتوحيد كلمتهم
م
قد حارب أنصار هذا الحزب الذين بلغ عددهم اربعمائة الف الانجليز على
ت
حدود البنجاب عام ١٩٤٠ ، ولكن الانجليز تغلبوا عليه وقبضوا على رئيسه
ضعف نفوذ الحزب بعد ذلك ، إلا أن مبادئه لا تزال تغرى كثيرين من
مسلمي الهند ، بل مسلمي الدول الأخرى الذين يتمنون استعادة مجد الاسلام
وهو المجد الذي لا يمكن تحقيقه إلا بتوثيق عرى التحالف والتساند والتعاون
بين مسلمي العالم .

السَّبِيحَة

THE ROSARY

« السَّبِيحَة » The Rosary قصة كتبها فلورنس باركلای Florence Barclay لكي يتداولها الناس كقصة تقرأ ، قام بنشرها أحد كبار الناشرين في نيويورك بعد أن رفض ناشرو لندن أن يقوموا بذلك .
ولاقت قصة « السَّبِيحَة » عند ظهورها نجاحا جنونيا ، فأعيد طبعتها مرات عديدة حتى تجاوز عدد ما طبع منها مليون نسخة .

والواقع ان أهم ما تمتاز به قصة « السَّبِيحَة » هو وضوح شخصية المؤلفة وضوحا كافيا ، فهي تدور حول حادثة مَفْجَعَة لها اتصال مباشر بحياة فلورنس باركلای . ولقد أحس الكاتب الفرنسي المسرحي أندريه بيسون André Bisson بقيمة القصة من الوجهة الفنية ، وبما يمكن أن تلاقه من نجاح إذا اقتبست للمسرح ، فقام فعلا بتلك المهمة ونقلها الى الفرنسية ، بعد أن صاغها قصة مسرحية في ثلاثة فصول وعهد بها الى المخرج الفرنسي المعروف جيميه فظهرت على مسرح الأوديون ولاقت من الجمهور الفرنسي نفس النجاح الذي أصابته عند نشرها . ولقد عرضت قصة « السَّبِيحَة » في القاهرة بواسطة إحدى الفرق الفرنسية قبيل الحرب العالمية الأولى .

.....

نحن الآن في قصر الدوق ده ملدروم Le Duc De Meldrum بأحدى مدن إنجلترا وقد أقامت زوجته الدوقة حفلة دعت إليها رهطا من أصدقاء الأسرة

وصديقاتها ، وأخذ أولئك المدعوون يتحدثون عن مواضيع مختلفة أظهرها
حديث بعضهم عن البعض الآخر !

ولا نلبث أن نتبين من بين المدعوين شخصا يدعى الطبيب براند Brand
يذكر للدوق رب القصر أنه لعب الكرة مع الأنسة جان كامبل Gane Campell
ابنة أخي الدوقة.

ونفهم من حديث الدوق أن جان تلك تبلغ من العمر ثمانية وثلاثين
عاما ، ومع ذلك فهي لاتزال آنسة لم تزوج بعد . كما نفهم من حديث الدوقة
أن الرسام النابغة جيرالد دلمان يقوم بعمل صورة للدوقة ستكون تحفة
تزين معرض الصور الذي تعتزم إقامته وأن هذا الرسام يبلغ الثلاثين من
عمره ومع ذلك فهو يبدو كأنه لم يتجاوز العشرين ، يحيا حياة مريحة بين
ذلك العدد الكبير من النساء الجميلات اللاتي يعرضن أنفسهن عليه كمنهاج
هو مشغول الآن باخراج صورة لأنسة اميركية تدعى بولين ليستر Poline Lister
يتهامس الناس بأنها خطيبته وأنه معتزم الزواج منها .

ويقبل ذلك الرسام جيرالد دلمان ويشترك في الحديث مع المدعوات ،
ومن يذهبن خطيبته بولين ، فاذا هو شاب فاتن رقيق ، سريع الخاطر ، تتودد
اليه النساء ويملن الى حديثه . وفيما نحن تنتقل بين أهباء القصر تقبل رسالة
برقية الى الدوقة تفضيها فاذا بها من المغنية الكبيرة « ميليا » التي كانت قد
وعدت بالحضور الى الحفلة لتتشد القطعة المعروفة باسم « السبحة » وهما هي
ذى تعتذر بهذه البرقية عن الحضور لمرضها . مع أن الدوقة قد أعدت كل
شئ لكي تفاجيء مدعوها بحضور المغنية فزينت القاعة على شكل محراب ،
ونثرت الورود البيضاء ووضعت صليبا أحمر كبيرا ، لكي يتسق جو القصر
مع تلك الأنشودة .

وتضطرب الدوقة لورود تلك البرقية واشفاقها من تغيير نظام الحفلة بأجمعه . ولكن إبنة أخيها جان تنقذ الموقف فتظهر إستعدادها لأن تنشد للمدعويين نفس أنشودة « السبحة » التي كانت « ميليا » تعزّم انشادها فاذا خلا الرسام جيرالد الى جان فهو لا يخفى دهشته من اجادتها الموسيقي الى حد أنها تستطيع أن تنشد تلك القطعة الفنية الدقيقة وهو يذكر لها أنه جد مغرم بالموسيقى وهو يعبر عن هذا بقوله .

— ان الموسيقى مفتاح الأرواح والأغاني لغتها ، إن الكلمات العادية قد تكذب فهي لم توضع إلا للكذب أما الصوت أو الموسيقى فلا يكذبان أبدا ! ويتدرج الحديث ثبين الاثمين فتشعر بأن شيئا خفيا يصل بين روجيهما ، فهي تغار من النساء اللاتي يرسم صورهن . وهو ينكر أن له علاقة بواحدة منهن وان الامر لا يعدو انه يتخذهن نماذج . وهو يقول في ذلك

— نماذج يا جان . نماذج لا أكثر . أفهمت إذن ماذا يساوي الفنان الذي لا يحب الجمال ؟ راهب بلا إله ! - وإذا أشارت الى خطبته للآنسة بولين ليستر أكدها انه لا يعزّم التزوج منها ، فالجمال وحده لا يكفيه بل انه يجب ان يعتز بالروجة التي تفهمه ، والتي تملأ روجه ، وتسيطر على نفسه . ثم يدعوها للحضور الى بلدته في اسكو تلمنده لكي تتمتع بجمال الطبيعة هناك فتقبل الدعوة وتعد بالحضور ويفترقان على ذلك

ولكننا لا تكاد نعود الى المدعويين حتى نعرف من أحاديثهم أن الدوقة تعزّم تزويج إبنة أخيها جان من الطيب براند

فاذا بدأت جان في الغناء فهي تحمده كل الإجادة . ويتأثر الرسام جيرالد من غنائها تأثرا يرسله الى شبه حلم جميل . فيحني رأسه ويغمض عينيه ليعيش معها وحدها دون باقي المدعويين في تلك الألفية ، فاذا خلت اليه بعد أن

تتلقى إعجاب الآخرين فهو يعترف لها بأنها أسرته بصوتها وموسيقاها أسرا
وانه أشد ما يكون فرحا وهناء . ويأبى أن يسمع منها شيئا عن بولين ليستر
أو عن أية امرأة أخرى . ويؤكد لها انها الفتاة المرفهة الحس التي كان
يبحث عنها . فمن المستحيل أن تغني تلك الأنشودة بتلك القوة دون أن
تسكون قد تألمت وصقل الألم روحها . ثم يصارحها بأنه يحبها وبأنه يريد أن
تسكون زوجته ، فهو في أشد حاجة اليها .

وتضطرب جان لذلك وترجوه أن يمهلا قليلا ، ثم تذهب وتعود اليه
فتتناول المرأة التي على المائدة وتشخص اليها مطيعة النظر الى جسمها وقوامها
وجفأة تطلب اليه أن ينسى كل ما كان بينهما ، فاذا أكد لها حبه أجابته بعد
قليل وهي تقاوم بكل جهدها وتحول بصرها الى جهة أخرى حتى لا يلتقي
ببصرها يبصره

— وإذا كنت أنا .. لأحبك !

ويذهل جيرالد لذلك الجواب المفاجيء . وتسرع هي فترجوه أن يؤمن
بأمر واحد . ذلك انها ستبقى صديقه ، فاذا مدت اليه يدها تناولها برهة ثم
تركها ولا نلبث أن نراها متجهة الى باقي المدعوين . فيصيح بها جيرالد

— جان !

وعندئذ تقول وقد اغضببت ابتسامة فاترة

— سنظل صديقين !

ثم تختفي في البهو فيبدو التأثير الشديد على وجه جيرالد ويغمض عينيه

.....

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في مكتب الطبيب براند وقد انقضى عام

على حوادث الفصل السابق . وأقبلت الدوقة ده ملدروم De Meldrum تزور طيبب الأسرة ، فنفسهم من حديثها أن جان قد غادرت إنجلترا في سياحة طويلة الى الشرق الأقصى ، وان آخر رسالة وردت منها وهي في الصين منذ شهر تنبيء أنها عائدة . ونعلم أن الطيبب براند كان قد كلف الدوقة بأن تبحث له عن ممرضة تعنى بمريض عزيز لديه ، وانها قدمت لتخبره أنها عثرت على ممرضة تقبل هذه المهمة .

ولا تكاد الدوقة تخرج حتى تدخل جان ، وقد شحبت لونها وبان عليها الهزال ، ويدهش الطيبب لرؤيتها فقد كان يظن انها لم تصل بعد الى لندن ، ولكنها تخبره بأنها فضلت الحضور اليه قبل أن تذهب الى عمتها الدوقة . وهنا نعرف إسم ذلك المريض الذي عثرت الدوقة على ممرضة تعنى به ، فهو ذلك الرسام الشاب جيرالد دلمان ، أصيب بالعمى وهو في إحدى رحلات الصيد إذ انطلقت رصاصة في وجهه فأفقده البصر .

وتذهل جان لدى سماعها هذا النبأ المفزع ويبدو عليها الجزع الشديد . ثم لا تلبث أن تعترف للطيبب براند بكل شيء . تعترف له بأنها ما قامت بتلك الرحلة الطويلة التي استمرت عاما كاملا إلا من أجل جيرالد ، وانها فعلت ذلك لانه طلب التزوج بها فأبت ، إذ ما كان لفتاة مثلها في الثامنة والثلاثين أن تتزوج بشاب في الثلاثين له شهرة وصيت عريضان ، تتأفت النساء الجميلات على إلتماس مرضاته والتودد اليه ، ما كان لها أن تجيبه الى طلبه وهي تعلم أنها بذلك تقف عثرة في سبيل مستقبله وهنائه ، ففضلت أن تصحى بنفسها ، وأن تدوس قلبها ، وأن تهجر وطنها من أجله هو ، وهي تسائل الطيبب عما إذا كانت قد أحسنت صنعا أم لا ، فيجيبها انها أخطأت إذ انها لم تقابل حب ذلك الرجل لها بما هو جدير به من وفاء

وتعود الدوقة ومعها الممرضة التي اختارتها للعناية بجيرالد

وتطلب جان من الطبيب براند أن يمكنها من رؤية جيرالد فيخبرها بأن الرسام المريض ممتنع عن مقابلة الناس ، ولكنها تلح وتتوسل . وأخيرا يتفقدان على أن تتنكر جان في زي الممرضة ثم تأخذ من الطبيب براند خطابا الى الطبيب الذي يعالج جيرالد على إعتبار انها الممرضة « روزميري » التي اختارتها الدوقة .

وتذهب جان وهي في زي الممرضات الى بيت جيرالد باسكو تلتنده ، وتقدم الخطاب الذي معها الى الطبيب المعالج فيعطىها التعليمات اللازمة للعناية بالمريض الأعمى ، وينبها الى أن حالته النفسية تستدعي أن يحاط دائما بجو يفيض حنانا ورقة ودعة وعطفا .

ويقبل جيرالد معتمداً على ذراع خادمه ومتوكئا على عصا يدق بها الأرض ، وقد ارتدى ثوبا أسود وظهر الشحوب على وجهه .

ولا يكاد يسمع صوت جان حتى يرتعد ويسأل عن في الغرفة ، فتجيبه جان بأنها الممرضة روزميري التي حضرت للعناية به ، ولكنه يظل واقفا فترة طويلة تحت تأثير الصدمة التي انتابته من سماع صوت جان ويبدى رغبته في أن يتحدث بالطبيب المعالج فيطلب الطبيب من جان أن تخرج ولكنه يعود فيشير اليها بيده إشارة تفهم منها أن تبقى لتسمع ما يدور بينه وبين المريض الأعمى .

ويعود جيرالد الى التحدث عن صوت الممرضة الجديدة فيذكر انه مشابه تماما لصوت فتاة كان يعرفها وكان لها أثر عميق في حياته ، ويعرض عليه الطبيب أن يستدعي تلك الفتاة التي كان يحبها لكي تجلس بجانبه وهي

الكفيلة إذ ذاك بتبديد أحزانه ولكن جيرالد يجيبه .

— كلا ياسيدى الطيب ... آه ... برى ... انها آخر شخص يظا عتبة
هذا البيت !

وهو يعمل ذلك انه أعمى وهو يابى أن يستدر عطف الناس عليه ، فمن
المؤلم أن يصبح محل هذا العطف .

ثم يعود مرة أخرى الى ذكر صوت الممرضة فهو يتمنى لو انه استطاع
أن يفصل بين هذا الصوت ، وتلك الذكرى الهائلة فاذا غادر جيرالد
الغرفة وهو يتكىء على كتف الخادم ، وخلا الطيب الى جان اتضح لنا انه
قد عرف حقيقة شخصيتها إذ رآها مرة أثناء الحرب وهى تقوم بالتمريض
فى أحد المستشفيات وهو يذكر اسمها جيداً إذ قد أعجب بها عند رؤيته لها
إذ ذاك فهى جان كامبل وليست روزميرى كما تدعى

.....

فاذا كان الفصل الأخير فنحن لانزال فى بيت جيرالد الرسام الضيرير ،
وقد أخذ يتحدث الى الطيب براند فيذكر له الأخير انه مندesh لموقفه
من تلك الفتاة التى أحبها ، فقد صدقها عند ما رفضت طلبه التزوج بها
مع أن ذلك الرفض انما تعتمد اليه النساء عادة لكي يسترن به ضعفن .
ويؤكد له براند أن ما حدث بينهما لا يعدو أن يكون سوء تفاهم تمكن إزالته
ولكن جيرالد يجيبه بأنه لا يزال محتفظاً بأبائه وكبريائه ، وهو لا يقبل أن
تنظر اليه جان نظرة رثاء وشفقة ، فما هو الآن إلا ضيرير مسكين !

ثم تدخل « الممرضة » جان فتفهم أن جيرالد كان يظنها غائبة فى أجازة
إذ لم يسمع صوتها منذ يومين ، ولكن الطيب براند يخبره بالحقيقة التى لا

نلت أن نعرفها جميعا ، فقد عصبت عينيها بعصا به حجبت عنهما الضوء ،
وحبست نفسها في إحدى غرف البيت لترى مبلغ تأثير العمى على من
يصاب به . ولا يكاد جيرانها يسمعون ذلك حتى يتأثروا ويشكروا لها تلك العاطفة
النبيلة التي دفعتها إلى التفكير في ذلك فإذا حدثها عن الوحدة التي يشعر بها
الأعمى ، وعن قسوة الظروف التي ترغمه على أن يكون محل عطف الناس
وشفقهم قالت له .

— يبدو لي أنني إذا أحببت رجلا فقد بصره فاني لا أتردد في أن
أهجر الضوء واطمئن إلى حياة الظلام لكي أحبه حبا أقوى وأفضل في
هدوء تلك الوحدة الشاملة .

ويتطرق الحديث بينهما فتذكر له أنها أحببت شخصا ثم افترقا لخلاف
تافه بينهما . وعندئذ ينصحها أن تكتب إليه وتشرح له كل شيء فهو لا بد
مغتفر لها وعائد إليها . فإذا قالت له .

— أخشى أن أكون خسرت حبه
أجابها .

— ان الحب لا يموت هكذا ياسيدي . اكتبني الى صديقك واشرح له
ما حدث فسوف يشعر بصدق قولك من خلال لهجتك

ثم تعرض عليه أن يتزوج فيقول لها

— إنني لا أحب إلا امرأة واحدة في هذا العالم . ولقد انطفا نور عيني
ولكن بقيت صورتها الحبيبة في أعماق روحي وستصحبنى هذه الصورة
حتى الموت .

ثم يصاب جيرانه بشيء من الدهول إذ يتكرر صوت جان على مسمعه

فيسألها .

— هل أنا في حلم؟ أهنا أحد أعرفه؟

فاذا أجابته بأنه لا يوجد غيرها ، طلب إليها أن تحضر من غرفة المكتب صورة مغطاة بستار احمر ، فتذهب وتحضر تلك الصورة التي لا تكاد تزج الستار عنها حتى يتضح أنها صورتها هي ، صورة جان ، تحفة فنية رائعة ، ويذكر لها أنها هي أول من يقع بصره على تلك الصورة وان صاحبها نفسها لا تعلم بوجودها فقد رسمها من حطام ذكراها ، وهو يطلب إليها أن تناول سكيناً وتمزق الصورة فلم يعد هناك معنى لبقائها

ويدخل الخادم يحمل البريد لذي وصل فتناوله جان وتدس فيه رسالة تخرجها من صدرها بدون أن يشعر بذلك أحد ، وتعطى مجموعة الرسائل الى جيرالد فيقبلها الى أن يصل الى تلك الرسالة فيطلب إليها أن تفضها وتقرأها فهو يحس أنها منهن ، هي ، من حبيبته التي كان يحبها عنها .

وتفرض جان الرسالة ... رسالتها التي دستها منذ برهة في مجموعة الرسائل ثم تقرأها لجيرالد فاذا بها تفيض بأنبل المعاني وأطهرها وإذا بها تتوسل اليه فيها أن يأذن لها بالحضور لرؤيته . ولا تكاد جان تقرأ بضعة سطور حتى نراها تترك الرسالة جانبا وتتجه الى جيرالد ثم تتكلم وكأنها تقرأ فتقول له :

— طلبت مني يومئذ أن أعطيك جوابا سريعا عن زواجي منك ولقد كنت أكبر منك سناً فلما تخيلت مستقبلي وقد انقضت بضعة أعوام على زواجنا رأيتني هرمة قبيحة ثم إنني أعترف لك الآن وأنا خجلى يا جيرالد بأنني لم أكن كبيرة الثقة في حبك . . - وتحس بصوت جان يتهدجوهي تلقى هذا الكلمات .

فيسألها جيرالد عما بها . وعندئذ تملك نفسها وتعود الى القراءة فتذكر على
لسان الرسالة ، انها أصبحت الآن تنق في حبه لها . ولا تكاد تنتهي حتى
يأمرها جيرالد بأن تجلس الى المكتب وأن ترسل الى صاحبة الرسالة هذه
الكلمة : إحضري ، ويبدى رغبته في أن يوقع تلك الكلمة بيده

وتنتاب جان إذ ذاك نوبة عجيبة تدفعها الى الجلوس أمام البيانو ثم تبدأ
في عزف المقطوعة الأولى من أنشودة « السبحة » ، وهي تغنيها بصوت
يتناهى رقة وحنانا .

ولا يكاد جيرالد يسمعها حتى يتقدم اليها ماداً ذراعيه وتعبث أصابعه
بشعرها وهو يصرخ في صوت عال فقد عرفها

— جان ... ! معبودتى .. كيف ؟ أنت إذن ؟ ... يا حبيبتي جان ...
إننى أحبك !

ثم تهبط الستار وقد تعانق الأثنان عناقاً صهراً شقاء الأعوام الطويلة
التي عاشاها مفترقين ...



مَسْأَلَةُ لِيْبِيَا

LE QUESTION DE LYBIE

أثار صراع الدول العربية أمام هيئة الأمم المتحدة في سبيل وحدة ليبيا واستقلالها اهتمام العالم

ولقد طالبت مصر في الخطاب الذي ألقاه رئيس وفدها لدى الجزء الثاني من الدورة الثالثة للجمعية العامة للأمم المتحدة ولدى الدورة الرابعة أثناء انعقادها في « نيك ساكسس » باعادة واحة جغبوب إلى مصر وبتعديل الحدود الغربية حول منطقة السلموم .

والحديث عن حدود مصر الغربية يسوق كل منصف إلى ذكر فضل المصريين في اكتشاف المناطق التي ظلت مجهولة في صحراء ليبيا إلى أوائل القرن العشرين .

فقد نص الاتفاق الذي عقده بين إيطاليا ومصر في ٦ ديسمبر عام ١٩٢٥ على أن حدود مصر الغربية تتبع خط طول ٢٥ شرق جرينيتش حتى خط عرض ٢٥ شمالا . ومن هذه النقطة - وهي أقصى الحدود جنوبا - ظلت الحدود غامضة مهمة .

وطبقا لتلك الحدود ظلت واحة « الكفرة » داخل الأراضي الليبية بينما الحقت بئر « ساره » ومنطقة « العوينات » الجبلية بالسودان .

وإذا كان الجغرافيون قد عرفوا بئر « ساره » منذ عام ١٩٠٠ بسبب

وجودها في طريق القوافل الذي يصل « بنغازى » و « واداي » ، فان منطقة
« العوينات » و « اركنو » الجبلة ظلت مجهولة حتى اكتشفها الرحالة
المصرى المغفور له احمد حسنين « بك » ، عام ١٩٢٣ ثم اتم اكتشافها المغفور
له الأمير كمال الدين حسين بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٦ .

وكانت أول رحلة قام بها حسنين باشا مع الرحالة الانجليزية « روزيتا
فوربس » ، في عام ١٩٢١ وكان هدفه واحة « الكفرة » . ثم عاد إليها وحده
بعد عامين واستمر في السير نحو الجنوب الشرقى متجهاً الى « دارفور » ، بحثاً
وراء الواحات المفقودة التي حدثه أهل « الكفرة » ، عن وجودها . فبعد أن
غادر « الكفرة » في ١٨ ابريل عام ١٩٢٣ اكتشف « العوينات » ، في ٢٨
من نفس الشهر وعاد الى مصر عن طريق « أردى » ، و « دارفور » .

أما الأمير كمال الدين حسين - ابن ساكن الجنان السلطان حسين كامل -
فكانت دوائر الجغرافيين قد عرفته بسبب اكتشافاته في شمال صحراء
ليبيا . وقد غادر الواحات الخارجة في ديسمبر عام ١٩٢٤ نحو الجنوب
الغربى سالكا الطريق المعروف باسم « درب الاربعةين يوما » ، وهو الطريق
الذى اعتادت القوافل أن تسلكه غالباً في سيرها بين اسيوط ودارفور . وقد
وصل الى بئر « شيب » ، في ٣ يناير عام ١٩٢٥ والى بئر « تارافوى » ، في ٥ يناير
وهناك ترك طريق القوافل وتوغل نحو الغرب فوصل « العوينات » ، في ١٩
يناير . وعاد الى مصر عن طريق « أردى » ، وواحة « ميرجا » ، التي اكتشفها في
٤ فبراير من ذلك العام

وفي شتاء عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ عاد الأمير كمال الدين الى « العوينات » ، من
طريق آخر وذلك بأن مر بالواحات الخارجة والداخلة وجبل « ابو بلاص »
وبئر « ساره » .

وهنا . يصف المؤرخ الفرنسى «جان بيشون» Jean Pichon فى كتابه «مسألة ليبيا» الذى أصدره عام ١٩٤٥ -والذى كان بين الأسانيد التاريخية التى استند إليها وفد «هيئة تحرير ليبيا» إلى الأمم المتحدة وأشار إليه صراحة فى الخطاب الذى ألقاه هذ الوفد أمام لجنة السياسة والأمن للتدليل على مساوى الاستعمار الايطالى - يصف هذا المؤرخ المحاميد أعمال ذينك العالمين المصريين بقوله .

(ان اكتشافات حسنين بك والأمير كمال الدين أضاعت غياهب الصحراء الليبية . وتمتازا اكتشافات الأمير المصرى بأنه استعان على تحقيقها بالسيارات فقد استعان فى رحلته الأولى بعشر سيارات من النوع المعروف باسم « اوتو شينيل » أى السيارات التى تسير عجلاتها على سلاسل حديدية تمكئها من قطع المسافات الصحراوية وبعشر جياذ وبسيارة من نوع « التوريدو » وكانت سرعة سير القافلة بمعدل أحد عشر كيلو مترا فى الساعة . وقد نبه اكتشاف تلك الواحات الجديدة المتناخمة للسودان وامكان الوصول إليها بالسيارات بواسطة الدروب الصحراوية الليبية أذهان الانجليز الذين كانوا قد احتلوا اثناء الحرب العالمية الاولى واحة سيوه عام ١٩١٧ بنفس الطريقة مبتدئين سيرهم إلى تلك الواحة من السلوم كما أن بعض الطلائع الاسترالية قد احتلت الواحات الخارجة والداخلة وتقدمت إلى منتصف الطريق نحو جبل « ابوبلاص » . وكان تنبه الانجليز إلى الاكتشافات المصرية فى صحراء ليبيا يعود إلى شعورهم بأن الواحات المكتشفة - وخصوصا «العوينات» - يمكن أن تتخذها ايطاليا قواعد حربية إذا احتلت القوات الايطالية واحة «الكفرة» ، ولذلك أرسلت الحكومة الانجليزية فى شتاء عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ أربع سيارات مصفحة من « دنقله » إلى بئر « نظرون » جابت نحو مائتين وستين كيلو مترا من قلب الصحراء الليبية فى نحو اثنتى عشر ساعة

وفي عام ١٩٢٨ وصل « الميجر بيدتيل » ومعه بعض سيارات إلى « العوينات »
قادما من الحدود السودانية .

وفي نهاية عام ١٩٣٠ . عقب احتلال الايطاليين لواحة « الكفرة »
زاد اهتمام الانجليز بالصحراء الليبية . إذ أثبتت بعض طائرات سلاح الطيران
البريطاني في يناير عام ١٩٣١ تجمع بعض القوات الايطالية في « العوينات »
وهي قوات الطلائع التي أرسلها الجنرال جرازيانى لتعقب المجاهدين الليبيين
الذين كانوا قد فروا من « الكفرة » والتي كان يقودها الضابط الايطالى
« برادا » .

ومنذ ذلك الوقت أخذت القوات الانجليزية والايطالية تجوب جنوب
الصحراء الليبية لدراسة حقيقة أهمية منطقة « العوينات » قبل أن تبدأ
المفاوضات الدبلوماسية بين « لندن » و « روما » !

وتتابعت البعثات الايطالية والانجليزية إلى تلك المنطقة ففي يوليو عام
١٩٣١ بدأت بعثة ايطالية كان يرأسها الأستاذ « ديزيو » رحلتها من « الكفرة »
تبغى الوصول إلى « العوينات » ولكنها عجزت عن ذلك بسبب نفاذ الماء .
وفي شتاء عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ وصل « الميجر باجنولد » الانجليزى على
رأس قافلة من السيارات السودانية إلى « العوينات »

وفي خريف عام ١٩٣٢ جاب الكونت « الماسى » والسكولونيل « بنديريل »
و « سير روبرت كلايتون » نفس المنطقة

وفي نفس العام . أى عام ١٩٣٢ اكتشف الضابط الايطالى « أوريسست
ماركين » واحات أخرى بين « العوينات » و « بير نظرون » وكان اكتشافها
بطريق الصدفة البحتة . إذ أن بعض السنوسيين قد هربوا من الايطاليين

يعد احتلالهم « الكفرة » فظن الايطاليين ان اولئك السنوسيين قد تاهوا في الصحراء لكنهم علموا بعد ذلك بظهورهم في « دنقلة » وأنهم — أى السنوسيين — قد سلكوا في هربهم طريقا يمر ببضع واحات لا يدري الجغرافيون عنها شيئا وهذا الطريق يقع بين « العوينات » و « بير نظرون » فلم يكفد الجنرال « جراز ياني » يتصل به ذلك النبأ حتى طلب إلى المجمع الجغرافي في فلورنسه أن يوفد بعثة « طوبوغرافية » يرأسها الضابط « أوريس ت مار كيز » لاكتشاف تلك الواحات ولتحديد المسافة بين « جالو » و « الكفرة » و « العوينات » و « بير نظرون » تمهيدا لإنشاء طريق سيارات وطريق جوى إلى السودان بعد اتخاذ « العوينات » قاعدة أمامية . وقد انتهت البعثة إلى أنه من الممكن قطع المسافة بين « بنغازى » و « العوينات » في ثلاثة أيام عن طريق « الكفرة » وتحققت أهمية « العوينات » كنقطة اتصال دائرة بين مصر والسودان و إفريقيا الفرنسية

وقد حدث في أوائل عام ١٩٣٤ أن احتلت بعض القوات الإيطالية التي كانت مرابطة في « الكفرة » الجزء الشرقى من « العوينات » المعروف باسم « نور » فلم تؤكد الحكومة البريطانية تعلم بذلك حتى بادر السفير البريطاني في روما بمطالبة الحكومة الإيطالية بسحب قواتها من « العوينات » باعتبار أنها تقع جنوب خط عرض ٢٢ أى في السودان . وأجابت الحكومة الإيطالية بأن تلك المنطقة لاغنى عنها لأهل واحة « الكفرة » بسبب مراعيها وآبار المياه فيها وان القوات الإيطالية من حقها البقاء فيها باعتبار أنها سبقت غيرها إلى احتلالها ؟!

ثم سوى الخلاف فيما بعد بتوقيع الاتفاق الإيطالى الانجليزى المصرى فى روما يوم ٢٠ يوليو عام ١٩٣٤ بين موسولينى وسير أريك دراهوندى سفير

انجلترا وصادق وهبه باشا وزير مصر المفوض . وقد قضى ذلك الاتفاق بتعديل الحدود تعديلا من شأنه ادخال الجزء الغربي من العوينات وآبار « عين دوا » و « عين زويره » و « ساره » في الحدود الايطالية) وقد تساءل المؤرخ جان ببشون :

« من الجائز أن يدهشنا تنازل إنجلترا التي عرفت بشدة الحرص على مصالحها ، ولكن يجب أن نتذكر — مع ذلك — أن حكومة لندن كانت مقتنعة إذ ذاك بأن السياسة الايطالية ستحترم في المستقبل مصالح بريطانيا العظمى الحيوية كما احترمتها في الماضي ، إلا أن تلك الأوهام لم تلبث أن تبددت بعد وقت قصير . إذ أن إيطاليا هاجمت الحبشة رغم إنذار بريطانيا قبل أن تنقضى بضعة أشهر على توقيع ذلك الاتفاق ! ، ولكن . . .

ولكن ما أدهش المؤرخ الفرنسي عام ١٩٣٤ عاد فأدهش العالم أجمع في عام ١٩٤٩ عندما وقف مندوبو إنجلترا في هيئة الأمم المتحدة يطالبون بعودة إيطاليا إلى طرابلس ! وإلى الصومال ! أن القدر يأبى إلا أن يسجل حق مصر وفضلها وغدر إنجلترا ونكرانها للجميل

في المدة بين ١٨ و ٢٨ أبريل عام ١٩٤٩ كان مندوبو إنجلترا في الأمم المتحدة يأبون على ليبيا حقها في الوحدة والاستقلال ، وينكرون على مصر حتى حق الاشتراك في وصاية خماسية على القطر العربي المسلم المجاور لأرضها . وفي المادة نفسها بين ١٨ و ٢٨ أبريل عام ١٩٢٣ اكتشف احمد حسنين المصرى تلك المنطقة من صحراء ليبيا . فاضاف إلى علم الجغرافية ثروة جديدة سجلها العلماء في كافة أقطار العالم له والمصر

منذ ربع قرن فقط .. أشاد العالم أجمع بفضل الاكتشافات المصرية التي
تستغلها انجلترا الآن لتحقيق أغراضها الحربية الاستعمارية ..
ولكن ذاكرة السياسة الانجليزية تعرف — عند الحاجة — كيف تضعف
حتى العدم !



ليلة في الجبهة

UN SOIR AU FRONT

هنرى كيسيتيميكير H. Kistemaechers مؤلف هذه القصة كاتب فرنسى معروف غذى المسرح الفرنسى بعدد وافر من القصص نجحت كلها، وترجمت له إلى العربية قصة « الشعلة » فلاقت نجاحا عند النظارة فى مصر، واقتبست بعض تلك المسرحيات إلى السينما وقد رأى الجمهور منذمدة قصته « الغريزة » فى إحدى دور السينما عندنا، فصادفت نجاحا أيضا من هذه الناحية .

وكيسيتيميكير كاتب شعبى عفيف ولكنه يمتاز عن غيره من الكتاب الذين يتملقون الجمهور بميزة جليلة . ذلك انه يبنى قصصه كلها تقريرا على أزمة من أزمت النفس البشرية، وهو يتلمس تلك الأزمة غالباً ويبحثها ويحلها تحت ضوء بعض الاعتبارات العلمية أو الاجتماعية أو الخلقية فهو يكاد يضع عن طريق قصصه المسرحية « قوانين » يريد أن تخضع لها النفس البشرية وهذه القصة التى ألخصها فى هذه المجموعة تدور حوادثها فى شتاء عام من أعوام الحرب العالمية الأولى .

وقد مثلت هذه القصة للمرة الأولى على مسرح « بورت سان مارتان » . فقابلها الفرنسيون الذين كانوا لا يزالون يعانون أهوال تلك الحرب بمقابلة عاصفة ارتفعت معها القصة إلى درجة لم تكن تصل إليها لولا تلك الظروف . ولكنها مع ذلك قصة قيمة تعرضت لبحث نقطة إنسانية خطيرة . وفق فيها التوفيق كله .

* * *

نحن في بهو قصر قريب من خط النار في ناحية « السوم » بفرنسا .
وهو قصر آل « سوليكور » الذي احتله الجيش الفرنسي واتخذ مقرأ
لضباطه ، وقد ظهرت في ذلك البهو مكتبة أصحاب القصر وأثاثه . ويبدأ
الفصل بحديث طويل بين الضباط الموجودين لا حاجة بنا إلى تلخيصه كله
فهو يدور على أمور عدة ، على شعور أولئك الضباط نحو وطنهم ونحو عدوهم
ونحو زوجاتهم ويهمننا أن نعرف من أولئك الضباط جميعهم اثنين منهم هما توري ،
Theurit ورينيه ، René وتقبل أثناء ذلك الحديث سيدة تدعى ماريان Marianne
تحمل أوراقا رسمية تتيح لها اجتياز تلك المنطقة الحربية فنفهم من حديثها مع
توري أنها صاحبة القصر الذي يحتله الجيش وقد قدمت للبحث عن رينيه
فهي تود رؤيته ، كما نعرف انها أرملة استشهد زوجها في الحرب ، ويقبل
رينيه بعد قليل فلا يكاد يقع بصره على ماريان حتى يصيح :

— ماريان هيلر هنا !

ثم يقوم بتقديم ماريان إلى زميله « توري » فيقول له عنها إنها تستحق أن
تحمل وسام فرقة الشرف . فقد قدمت لفرنسا خدمات جليلة ، ويخبره انها
أنقذت حياته . فقد كانت تعمل كمرضة في الجيش وسقط هو مع بعض
رفاقه وقد اخترق رصاص العدو جسمه ، وزادت آلامه حتى أصبح لا يطيقها
واشتد به الظمأ حتى كاد يفقد شجاعته ، وأخيرا جاءت ماريان هيلر وانحنت
عليه تواسيه ثم احضرت من يساعد لها على حمله ، وقامت بأشياء أخرى أجل
وأعظم ، فقد أحضروا إلى المستشفى الذي كان يعالج به جنديا فرنسياً محتضر ،
وأقبلت ماريان تغمض له عينيه قبل أن تفيض روحه ، ولكنها ما كادت
تفعل ذلك حتى هجم اثنا عشر جنديا ألمانيا عليها ، وأمسكوا بها وأجروا معها
تحقيقا فاعترفت بانها فرنسية وبانها كانت تقيم في قصرها بناحية « السوم »

وانها تقوم الآن بتضميد جروح الجنود الذين يسقطون في ميدان القتال .
قلبا صارحها الضابط الالماني المحقق بأنه يأسف لاضطراره إلى اعدامها
قالت له :

— حسنا ، اعتنوا على الأقل بهؤلاء المساكين . انهم أسراكم - فأجابها
— معذرة يا سيدتي ، انهم شركاؤك وسيعدمون مثلك ولكن سوف
يكون لك شرف الموت قبلهم!

ويستمر رينيه في حديثه فيخبر توري أن ماريان رفضت أن تعصب عينيها
عندما تقدمت إلى ساحة الإعدام وصاحت بهم « أيها الأندال . . . أيها
الأندال . . . انكم لا تصلحون إلا لقتل النساء ! »

وقد تم انقاذ باقي الأسرى بأعجوبة ، إذ أسرعت لنجدتهم فرقة من
الجيش الفرنسي اقتحمت القرية التي كانوا فيها وأمطرتها وابلا من الرصاص
ويتأثر توري من تلك التفاصيل التي أدلى بها رينيه ، فيقدم إلى ماريان
أسمى عبارات احترامه واجلاله . وإذا خلا رينيه إلى ماريان سألتها عما
حدث بعد ذلك فأخبرها بأن الإصابات التي أصيب بها جعلته عاجزا عن العمل
في فرقة الفرسان ولذا اضطر ان يعمل في فرقة السيارات ، ونعلم جميعا انها
منذ ان فجعت في زوجها قد أثر فيها الحزن فتفرغت للعناية بولدها ، وهو
طفل صغير في حاجة قصوى للعناية . ويستمر الحديث بين الضابط الشاب
والمرأة الشابة فتشعر بأن رينيه مغرم بماريان ونسمعه يقول لها إن كل
جندي في الجيش يتصور الوطن وفق خياله الخاص وهذا الوطن بالنسبة له
هو ماريان . . . فهو يحبها ويحب الوطن ، وهو يذكرها بتلك الليلة التي انقذته
فيها . وكيف التقت نظراتهما فتفاهما منذ تلك اللحظة ، وتجاوب قلباهما ،
ولكنها تجيبه بأنها كانت تفكر إذ ذاك في أن ابنها سيكبر ويصبح شابا قويا
هثله ، وفي انه سيموت !

ويتحدثان بعد ذلك عن زوجها الذي نعلم أن اسمه جيرار دنشو ونشعر
من حديث رينيه أنه يشك في أن ذلك الزوج كان ألمانيا وتكاد هي تعترف
ولكنها تقول إنه مات من أجل فرنسا، ويدهش رينيه من ذلك ولكنها
تكرر له أن جيرار Gerard مات في صفوف الجيش الفرنسي. وهي تحكى له
قصة زواجها فتخبره بان والدها كان يدير مصنعا كبيرا للكهرباء وقد طلب
اليه أحد عملائه في «ستراسبورج» أن يقبل ابنه للتمرن في مصنعه وبدا
عاش جيرار عامين ضيفا على أسرته وعلمت هذه الأسرة أنه من أصل
الزاسي ولكن اتضح لهم عند الزواج من الاطلاع على المستندات الرسمية
أنه ألماني. فاذا سأها.

— هل أحببته؟ — إجابته .

— أجل ..

وعندئذ يشور فيقول لها إن كل ذلك الجيش الألماني من أوله إلى آخره
بدون استثناء رجل واحد لا يستحق إلا الحقد، ولكنها يعود فيعترف بأنه
مدين لها بحياته. ويسألها ما الذي دعاها إلى الحضور الآن تحت وابل رصاص
العدو فتجيبه أنها حضرت .. من أجل زوجها أيضا فقد أوصاها قبل موته
بأن تحرص على بعض ممتلكاته وتنقلها إلى أسرته. وقد حضرت إلى القصر
لتقوم بنقل تلك الذكريات إلى الخطوط الخلفية. حيث لا خطر عليها إلى
أن تنتهي الحرب! وتبدأ ماريان في البحث عنها في إحدى الحقائق ويلاحظ
رينيه اثناء تنقيبها أن هناك ثوبا رسميا ألمانيا بين ممتلكات زوجها. ويصفر
وجه ماريان ويرتعد جسمها. وينتبه رينيه إلى ذلك فاذا سأها، أين كانت عندما
أعلنت الحرب؟ اجابته أنها كانت وحدها في القصر وأن زوجها كان في رحلة في

الجنوب فيستنتج من ذلك أنه عندما صدر الأمر بالتعبئة أخذ زوجها وهو في الطريق لينضم إلى صفوف الجيش الفرنسي، ثم يسأها عما إذا كانت واثقة من هوته رسمياً فتجيبه ان النشرات الرسمية أعلنت أنه اختفى. وأنهم أحضروا لها جثته. ويذكر لها أن الثوب الألماني الذي وجد في الحقيبة يدل على أنه قد صنع لدى حائك ألماني في كولوني Cologne ويحمل اسم جيرارد هيلر Gerard Heller.

ويشرح لها رينيه سر زوجها فيقول إنه يعد من احتياطي الجيش الألماني هادام ينتمي إلى أصل ألماني وقد لعب ذلك الدور القدر فاندمج في صفوف الجيش الفرنسي ثم انتهر أول فرصة فانتقل إلى صفوف العدو. أو بتعبير أدق. انتقل إلى صفوف جيش بلاده. التي ولد على أرضها. وهي ألمانيا! ثم يقول بعد فترة.

— آه. إنك مسكينة يا ماريان!

وتشمنز ماريان من ذلك التفسير الواضح الذي فسره به رينيه سر زوجها فتثور نفسها وتلعن تلك السنوات الأربع التي قضتها معه. سنوات كلها كذب وخسة وضعه وينتهي الفصل الأول بهذا الحوار. فاذا قالت ماريان — ولكن هذا لا يصدر إلا عن أخط النفوس، إنه شيطان! — أجاها رينيه.

— انه عدو. هذا كل شيء — « ثم يدق جرس التليفون فيجيب « أجل ياسيدي هو أنا. كل شيء هادىء. كل شيء هادىء. ليس هنا ما يستحق الذكر! »

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فنحن لانزال حيث كنا وقد أخذ توري يتحدث إلى رينيه فيصارحه بأنه منذ قدمت ماريان تغيرت حالته.

فاذا خرج رينيه أقبل ضابط برتبة « كابتن » وتكلم إلى توري بلهجة

الأمر فيخبره أنه الكابتن « بيرتول » وقد قدم للتفتيش على القوة المرابطة في القصر ، ثم يتبادل مع توري بضعة أحاديث عن الحركات الحربية والاستحكامات التي يقوم بها الجيش الفرنسي . وفي هذه الاثناء تقبل ماريان وتنصت إلى حديث الضابطين دون أن يراها ثم تدخل عندما تسمع صوت الكابتن ويخرج توري فتفهم كل شيء ، تفهم ان الكابتن بيرتول الفرنسي إنما هو زوجها جيرار هيلر الألماني الذي خيل إليها إنه توفي فاذا به لا يزال على قيد الحياة وقد تنكر في ثياب ضابط فرنسي . واذا بماريان زوجته تهدده بأنها سوف تبلغ عنه فهي تعتقد أن التستر عليه خيانة . وإذا بين الاثنين هذا الحوار الرائع

ماريان - أأنا ألمانية أم فرنسية ؟

هيلر - أنت زوجتي .

ماريان - انني أرتعد أمام جندي ألماني !

هيلر - مرة أخرى لم كل هذا ؟ ولم ترين في عدوآ ؟ انني زوجك .

ويستمر في حديثه فيخبرها ان الحكومات هي التي تتحارب أما الشعوب

أما الأزواج والزوجات فلا تفرق بينهم الحروب . ويطلب اليها ألا تصدق

مايداع في الصحف الفرنسية عن وحشية الشعب الألماني فاذا سألته .

- أهذا حق ؟ ألا تقتلون النساء ؟ - أجاها - أبدا .

فتكذبه وتطلب اليه أن يخلع ذلك الثوب الفرنسي الذي يرتديه لكيلا

يلوئه فاذا عاد إلى تذكيرها بأنه زوجها قالت له :

- أقولها للهرة الأخيرة إن زوجي قد توفي .. ولقد كان قلبا حنوناً

ورجلاً شريفاً . لقد مات وأنا لا أؤمن بوجود الأشباح !

- وولدنا ماذا تفعلين به ؟

فتجيبه أنه يتيم وأنه لا يشبهه قط وانما يشبهها هي . انه ابنها وليس ابنه !
فيخبرها بأنها لو كانت في ألمانيا الآن لما تردد في أن يحمها بكل قواه . ويطلب
في أن الألمانيين لا يكرهون الفرنسيين وانما يكرهون فرنسا . وزوجته
شيء وفرنسا شيء آخر . فلا بد أن تسود ألمانيا التي اختارها الله لحكم العالم .
ويسألها عندما يتم الصلح وتتصافح الأيدي ماذا تفعل إذا جوبهت بالجرم
الذي تريد اقترافه ! ماذا تقول إذا جوبهت بانها خانت زوجها
وسلمته لجلاده ؟

ولكن ماريان لا تتقنع بكل ذلك فهي تصف الشعب الألماني بأنه نذل
والجنود الألمان بأنهم قتله . غير أنه يعود فيذكر لها أنه والدانها ، فتقول .
— وأنا أشعر بأنني أم كل أولئك الذين سقطوا صرعى هذه الحرب
من الفرنسيين . هناك ملايين من الفرنسيات أعطين أبناءهن لفرنسا ، وفي
وسعى أن أعطي أنا الأخرى بضع عبرات من عيني .. فاذا سأها ماذا تريد
أن تفعل به أجابته انها ستقتصر على أن تدعهم يقيمون حريته فيأسرونه
لكي لا يسيء إلى فرنسا ، وتطمئنه بان الأسرى في فرنسا لا يقتلون ، ولكنه
يذكرها بان حالته تختلف عن حالة غيره . وأنه لا بد من قتله ، ويصيح في وجهها
بأنها ستقف يوما ما أمام ابنها لتقول له « ريشار . يابني . ذات ليلة أمسكت
بيد أهلك وأسلمته إلى جلاده ! » .

ويدخل رينيه إذ ذاك ويرى هيلر في ثياب كابتن ، فيحيه تحية عسكرية ،
ويسأله هيلر بضعة أسئلة حربية فيجيبه عليها وقد بدا على ماريان الاضطراب
الشديد . ويأخذ رينيه في سرد حكاية جاسوس ألماني كان قد قبض عليه في
اليوم السابق وهو في زى ملازم فرنسي وان ذلك الجاسوس أراد استكشاف
مواقع المؤخرة في الجيش الفرنسي . ويتحدثون بعد ذلك عن المعاملة التي

سوف يلقاها ذلك الجاسوس فيتمول رينيه إنه سوف يعدم رمياً بالرصاص
وتتطور المناقشة بينهم فتشور ماريان وتوجه الحديث الى هيلر على اعتبار انه
الماني وتهمه وباقى أفراد جنسه بأنهم وحوش . ويشعر هيلر بانه انفضح
فيرفع يده ويحاول أن يضربها ، ولكن رينيه يقف حائلاً بينهما ، وتعترف
ماريان لهيلر بأنها تحب رينيه وبأنها لم تحبه هو قط وانها كانت تؤدي فقط
واجبا كريها وبأنها بجانبه لم تر إلا شر الشقاء القلبي . ويصرخ هيلر ساخر آ في
وجهها « إنك فرنسية ! »

ويكرر ذلك كلما رآها تغلو في إتهامه ويطلب اليها رينيه أن
تخرج فتجيبه انها تستطيعه ، ولكنها ترجوه أن يضمن لها حياة زوجها . انها
تريد أن يعيش فقط ! وتجتو على ركبتيها لتوسل الى رينيه ألا يقتل زوجها!
فاذا خرجت ماريان ذهب رينيه الى الباب ونادى الحارس جراندان
Grandin ثم سار الى باب الغرفة الأخرى وقال لهذا الحارس
— إذا حاول أحد أيا كان أن يخرج من هذه الغرفة . فاطلق عليه النار
بلا تردد . أفهمت ؟

فيطيع جراندان ويخرج ، ويتحدث هيلر فيصارع رينيه أن هناك فرقة
من الجيش الألماني ستهاجم في الفجر ولن تتخرج عن قتل كل الفرنسيين
الذين يقعون في يدها ، ولكنه لو أطلق سراحه فهو يضمن له أن هذا لن
يحدث ، ولكن رينيه لا يعبأ بذلك ويطلب اليه أن يسلم له سلاحه ، وينتهي
الفصل بهذا الحديث :

هيلر : انك بذلك تزيد من مخيلتي آخر أثر عن الشهامة الفرنسية
رينيه : ان الشهامة الفرنسية ياسيدى في هذا الوقت تنحصر في انقاذ
العالم من وحشية ألمانيا وفضاعتها .. تفضل اتبعني ...

فاذا كان الفصل الأخير أقبلك ماريان تبحث عن رينيه وتسال عنه الحارس جرانندان . وتفهم من حديث جرانندان مع أحد زملائه ان المعركة ستبدأ في الساعة الخامسة إلا خمس دقائق وأن القصر خال فكلهم ذهبوا الى الخنادق ، وانهم علموا بأن الجيش الألماني سيهجم في الساعة السادسة ، فاذا أقبل رينيه وعلم أن ماريان تبحث عنه بعث في طلبها ، ثم صارحها بأنه تلقى تعليمات خاصة بتسهيل سفرها ، وتسأله عما فعل بزوجها فيخبرها بأنه لم يفعل أكثر من أنه قبض عليه وأما الباقي فلا مناص منه، ويذكرها بالأحوال التي منيت بها فرنسا وتسببت فيها ألمانيا

ويدخل قائد السيارة ينيء رينيه بأن السيارة قد أعدت لسفر ماريان ، فيأمره بأن يطيع ماتشير به ، ولكن ماريان لا تلبث أن تعود وتطلب الى رينيه ألا يسلم زوجها الى رؤسائه وأن يبقى على حياته ، فاذا رفض ، لان ماتطلبه منه إشتراك في الخيانة ذكرته بكلمات الحب التي قالها لها منذ برهة ، وأخيرا يطلب اليها أن ترحل مطمئنة فسوف يفعل كل ما في طاقته نحو زوجها . ويعود قائد السيارة لينذركر رئيسه بأن الساعة قد أزفت ولا بد من الرحيل .

فتودعه ماريان بعد أن ترجو أن يراها قريباً وتخرج ، ويستدعي رينيه زميله توري بالتليفون بعد أن يلتقى بالحقيبة المحتوية على ثياب هيلر الى ركن مظلم لا يرى . فاذا أقبل زميله أخبره بأنه ارتكب في ذلك اليوم إثماً يريد ان يكفر عنه . ارتكب إثماً يمس بواجبه ولذا فهو يريد أن يؤدي هذا الواجب أضعافاً . ذلك أن هناك جنوداً سيسقطون ولا شك عند الهجوم الأول ولذا فقد عزم هو أن يحل محل واحد من أولئك الذين سوف يسقطون . ويدهش توري لذلك . ولكن رينيه يجيبه بأنه كرئيسه يأمره بأن يحل محله هنا ولا يذهب معه ويسأله توري .

— أتطلب مني أن أراك شارعا في الانتحار وأن أنظر اليك بدون
أن أتحرك؟

ويجب رينيه بأنه لا يريد أن ينتحر وإنما هو يريد أن يرضى ضميره فإذا
عاد حيا فقد أَرْضَى ذلك الضمير وإذا مات فهذه إرادة الله ! ويصارحه بأن
هناك أسيرا في الغرفة وأن عليه ان يأخذه الى القائد في الساعة الخامسة عند
إبتداء المعركة ويترك له حرية التصرف معه ، ولكنه لا يخبر توري بشيء
عن ظروف هيلر ، ثم يرجوه إذا علم أنه قضى نحبه أن يذهب ويخبر ماريان
بأنه مات مستشهدا دون أن يتألم ، فاذا خرج الضابطان وخلا جراندان
الحارس بنفسه بدأ في كتابة خطاب الى زوجته ، وتعود ماريان فيحذرهما
من خطر وجودها في ذلك الوقت والمعركة تكاد تنشب . ويطلب اليها
الانصراف . ولكنها تصر على البقاء ، فهي ممرضة وتتوسل اليه أن يستدعي
رينيه ولكنه يصارحها بان الضابط بعيد في الخنادق .

ويخرج هيلر في تلك اللحظة من الغرفة وينزل الدرج ببطء فيطلب اليه
جراندان أن يقف ولا يكاد يمتنع عن إطاعة الأمر حتى يطلق عليه النار ،
ويترنح الأسير الألماني ثم يسقط .. وعندئذ تخفي ماريان عينيها بيديها بعد أن
ترى الرصاصة تسكن جسم زوجها

وفي هذا الوقت يدوى صوت الموسيقى عازفة نشيد «المارسيين» الوطني
في ظلام الليل بقوة وعنف وحماس
فينصت الجثود اليه وقد أخذتهم النشوة وتقف ماريان منتصبية القامة
وقد مدت يديها الى السماء

ثم تهبط الستار وهي تصيح بكل قوتها وبكل روحها

— ربي اربي ! احفظ لنا الأحياء !

هذه امبراطورتكم

IT'S YOUR EMAIRE

هو كتاب حديث أصدره مفكر انجليزى حر عن القارة التى نعيش فيها « أفريقيا » وعن مساوىء الاستعمار البريطانى بها . ومؤلف هذا الكتاب اليكساندر كامبل Alexander Campbell قد توفّر على بحث أحوال افريقيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأصدر من قبل هذا الكتاب كتابا أسماه « الامبراطوية فى افريقيا » . والذى يهتم الشعوب العربية من فصول كتابه الاخير « هذه امبراطورتكم » فصل أفرده عن « أفريقيا السوداء » ، وجه مقدمته إلى الاوروبيين وقرر فى هذه المقدمة الممتعة أن الرجال البيض عندما دخلوا شمال أمريكا وجدوا مساحات شاسعة من الاراضى تقطنها قبائل من الهنود الحمر قليلة العدد ، مبعثرة فيها ، فلم يلبث البيض أن تكاثروا عددهم حتى زاد بمراحل على عدد الحمر ، ولكن أفريقيا لاتزال تعيش فيها أغلبية سكانها السود ، فنسبة الاوروبيين إلى كل عشرة آلاف افريقي لا تزيد عن ستة فى أوغندة وفى نيجيريا وتسعة فى ساحل الذهب وستة عشر فى تانجانيقا ، وخمسة وستين فى كينيا ، وأربعة وثمانين فى روديسيا الشمالية ، وهذا عامل رئيسى لا يجب أن يغيب عن البال إطلاقا ، والشعوب الافريقية التى يبلغ عددها مائة وخمسين مليوناً لاتزال تعد متأخرة إذا قورنت بالشعوب الغربية اليوم . ولا سند لما يزعمه بعض السياسيين الاوروبيين فى الارض البريطانية التى يستعمرها البيض وفى اتحاد جنوب افريقيا من أن رقى أفريقيا يجب أن يكون بطيئا بسبب كسل عقليات الافريقيين أنفسهم ، لان

العلماء قد امتحنوا الهبات العقلية للأطفال الافريقيين فثبتوا أنها في المتوسط لا تقل عن عقلية الطفل الأوروبي المتوسط . فرق افريقيا لا تشله الاعوامل مالية أى أن أولئك الذين في يدهم السلطة يرغبون في عدم اهتمام ميزانيات تنفق على التعليم والصحة والزراعة والصناعة

والافريقيون يختلفون أجناسا كما يختلف الاوروبيون . ففي افريقيا شعوب وثنية ، وفيها مسلمون من شمال نيجيريا و Kano وهي مدينة بنيت منازلها على طراز القرون الوسطى يحيط بها سور مرتفع يبلغ طوله اثنتى عشر ميلا ، وأغلبية الافريقيين يعيشون حياة أشبه بحياة إنجلترا في عهد السكسون ، ولكن هذه الحياة يمكن أن تتغير معالمها بسرعة إذا زادت موارد الافريقيين زيادة تحقق هذا التغيير ، وإذا نظرنا الى الحياة الافريقية على ضوء هذه الحقيقة التاريخية العملية لثبتنا أنها ليست حياة فذة فريدة في نوعها ومما يغيب عن بال البريطانى أو الاميركى المتوسط ان أغلبية الشعوب التى تعيش فى العالم اليوم تعيش حياة لا تختلف كثيرا عن الحياة الافريقية ، كالفلاحين الهنود والصينيين وشعوب جنوب ووسط أمريكا وكثيرين من فلاحى شرق أوروبا ، والاستثناء من هذه الحياة التعممة تنفرد به بريطانيا وغرب أوروبا وشمال أمريكا والممتلكات البريطانية الحرة ، فالافريقيون والشعوب الاخرى التى أشار اليها بسبب عدم تمكنها من الرقى الذى وصلت اليه الشعوب الغربية — قصار القامة فى الغالب . ضعاف الصحة . يعيشون حياة قصيرة ، شقية ، وهم يلقون حتفهم عادة من المرض كما أنهم فى معظم أنحاء القارة يؤمنون بالخرافات . ولكن هكذا كان حال الغالبية العظمى من الشعوب الاوروبية حتى عهد قريب !

والشعوب الافريقية تعيش سجينه فى قارة تبلغ مساحتها إحدى عشر

مليوناً من الأميال المربعة تحيط بها الجبال والصحارى والمستنقعات والغابات التي ظلت إلى العهد الحديث تحجب هذه الشعوب عن الاتصال اتصالاً مثمراً بالعالم الخارجى ، والأفريقيون منكوبون بجو حار يقتل النشاط وبقارة ملاءى بالحيوانات المتوحشة . وبالقبائل الرحالة التي تعيش على القتل ، وبالحشرات الناقلة للأمراض وبالأعشاب السامة . والصحارى القاحلة ، وهذه العوامل لها بلا شك أثر فى تأخر الأفريقيين ، ولكن هؤلاء الأفريقيين يمتازون بهبات عظيمة . فلا يجرؤ شخص تعامل مع الأفريقيين على أن ينكر ذكاهم اللهم إلا إذا كان من أولئك الذين تسممت عقولهم بفكرة التمييز بين ألوان الجنس البشرى ولا سبيل إلى إقناعه

وما من أحد يستطيع أن يشك إطلاقاً فيما فطروا عليه من روح مرحة وإحساسات مرهفة بالجمال . وشعور حى بالموسيقى . وإذا تعلم الأفريقى وتحرر مادياً فإن مستقبلاً عظيماً ينتظره ، والعالم لا يستطيع أن يستغنى عن مساهمة أفريقيا فى ميدان الحضارة ، والأفريقيون لهم بالطبع أخطاؤهم كغيرهم من الشعوب . فهم على أهبة للتقليد الأعمى بدلا من اقتباس ما يناسبهم ، وهم يستطيعون أن يكونوا محافظين كسواهم من المزارعين وأن يتشبثوا بأرائهم فلا يحدوا عنها ، وهم يستطيعون أيضا أن يطيعوا طاعة عمياء رؤساءهم فى أوقات الحروب التي يشنونها . وأن يتعالوا ويشمخوا بأنوفهم إذا أحسوا بالحاجة اليهم ، ولا توجد وحدة تجمع شملهم ، وقد انتهز بعضهم فرصة التغييرات التي حدثت فى قارتهم بعد دخول البيض إليها للوصول إلى مركز استطاعوا فيه أن يسيطروا واستغلوا مواطنيهم الأفريقيين فى وحشية لا تقل عن وحشية الأوروبيين . وبعض رؤسائهم قبل أن يتآمر مع جماعة من المستعمرين البيض على أبناء وطنه فى مقابل فتات تتبقي من مائدة أولئك

البيض ، ولكن يمكن أن يقال - على وجه العموم - إن الأفريقيين كجموع كانوا مسالمين إلى حد كبير ، كرام الخلق . وإنهم خدعوا إلى حد كبير وإنهم عانوا استغلال البيض لهم في صبر الحليم . وهذه أخطاء قد تعد فضائل لو ان عالمنا كان أفضل من العالم الذي نعيش فيه !

والآن لننتقل إلى أمور أهم من هذا كله . ففي القرن الماضي فقط استطاعت الجماعات الأوروبية التي استعمرت افريقيا أن تحول الاقتصاد الافريقي من اقتصاد زراعى قائم على أساس أن المنطقة تكفي نفسها بنفسها ، إلى اقتصاد قائم على أساس التعامل بالنقد ، ولم يتعود الأفريقيون على التعامل بالنقد إلا منذ بضع عشرات سنوات ، ولا يزال معظم الأفريقيين إلى اليوم خارج منطقة الاقتصاد النقدي ، والقليلون منهم الذين يشتغلون للارتزاق من الأجور التي يتقاضونها يفعلون ذلك لتكملة ميزانياتهم العائلية ، وهذه الأجور منخفضة ، ومتوسطها نحو أربعة بنسات في اليوم ، أى نحو قرش ونصف قرش مصرى ولو أن الحرب العالمية الاخيرة قد أحدثت تغييرات هامة ، ومع ذلك . فحتى في نيجيريا حيث يتقاضى سائقوا السيارات المهرة أقل من خمسة شلنات في اليوم . لا تزال الأجور تعد فيها شيئا جديدا . وهى مفروضة فرضا على المستعمرين البيض الذين تعودوا من قبل على ترك الأفريقيين يعيشون حياة فطرية شقية ، وقد تمنح عن أن النقد شيء جديد نسبيا على الأفريقيين أن اثمان السلع منخفضة ، كما كانت في أوروبا القديمة ففي الامكان الحصول على وجبة طعام أفريقي طيب في مقابل بنس واحد . أى أقل من نصف قرش مصرى ، والعملة الرئيسية في غرب أفريقيا هى الانبى Anini وهى تقابل عشر البنس ، ولا نظير لها طبعاً في العملة المصرية ، والعالمية العظمى من الأفريقيين لا يزالون يعيشون على الزراعة التي تكفل لهم مطالبهم

وطرقهم فيها بدائية وخطرة ، فهم يحرقون الغابات ويخلون الأرض من أشجارها ثم يزرعونها حتى يجهدونها فاذا اجهدت انتقلوا إلى منطقة أخرى وفعولوا بها ما فعلوه في سابقتها

والمناطق الصحراوية تمتد وتحتاج بسرعة مساحات من هذه القارة سبق أن اجتاحتها حشرة التستسي Tsetse وهذا خطر من أهول الأخطار الأفريقية فالصحراء وحشرة « التستسي » تعملان متعاونتين على تحويل أفريقيا إلى أراض هلك فيها الحرث والنسل ، فلم يعد يعيش فيها انسان أو حيوان والعلم الأوروبي يكافح ببسالة هذين الخطرين ، وقد فاز ببعض انتصارات هامة ، ففي كثير من المناطق أسفرت المعركة عن إبادة الناموس ولكن في معظم المناطق لاتزال المعركة مع التستسي دائرة فأحيانا يتغلب العلم وأحيانا يهزم ، وفي بعض الحالات يعدقودوم الرجل الأبيض سببا في تفاقم المشاكل الأفريقية ، فقد شجع البيض الأفريقيين على إنتاج محاصيل للتصدير ولكن هؤلاء البيض لم يعنوا إلا عناية تافهة بما إذا كان الأفريقيون يتخذون في زراعة هذه المحاصيل الاحتياطات الضرورية ، فأعلى المحاصيل تصدر دون أن تستفيد الأرض التي أنتجتها أية فائدة من الأرباح الطائلة التي تعود على المصدرين البيض من بيعها في الأسواق الأجنبية ، والمرض لايزال هو أشد المشاكل الأفريقية ، فالأفريقيون يعانون عادة أمراضا مختلفة ، وبعض هذه الأمراض تقضى على حياة ضحاياها ، والبعض الآخر يحطم قواها وإلى جانب المرض يعاني الأفريقيون سوء التغذية ، فكثيرون منهم لا يجدون قط كفايتهم من الطعام . وهناك كثيرون من هؤلاء لا يكون ما لا يجب أن يأكلوا والأفريقيون - طبعا - مفتقرون إلى التعليم ، وإلى عهد قريب لم تفتح لهم مدارس ، وكان عدد الذي فتح في بعض المناطق قليلا جدا . كما أن عدد

الأطباء والمستشفيات قليل جدا ، وقد نشر قبل الحرب تقرير وضعه أربعة
بريطانيين جاؤوا غرب افريقيا وهم «ساندمان آلين» Sandman Allen وآمون
Ammon وكليمنت ديفيز Clement Davis وهيدن جيست Haden Guest أشاروا فيه
إلى أن تقدم افريقيا في المستقبل يجب أن يبنى على أساس الزراعة باعتبار
أنها أهم ما يتعلق بالشعوب الأفريقية وذكروا في هذا التقرير « أن ما يحتاج
إليه الأفريقيون الآن هو تحسين مستوى المعيشة واعطاء الأفريقيين فرصة
الاشترك الكلى في حياة العالم السياسية على أساس المساواة في هذه الحقوق
بينهم وبين الأوروبيين ، وتحقيق هذه المساواة لا يتم إلا إذا وضعت الحكومة
البريطانية برنامجا تتعهد بتنفيذه في مدى أعوام محددة ، ويجب أن يقره
زعماء شعوب غرب افريقيا عن اقتناع ورضى » .

وقد ختم المؤلف هذا الفصل من كتابه معلقا على هذه الفقرة من
التقرير بقوله :

« منذ كتبت هذه الكلمات اتخذت بعض خطوات في سبيل وضع
برنامج للإصلاح ، ولكن تنفيذ هذا البرنامج سيستغرق وقتا ، وسيستنفذ
صبرا ، ومالا كثيرا ، كما أنه يحتاج فوق هذا كله إلى اقتناع الرأى العام
الانجليزي من كل قلبه بوجوب تعضيده ، وقد يكون تنفيذ هذا البرنامج
تجربة يتبين منها العالم ما إذا كانت الامبراطورية البريطانية ستبقى أو ستنهار ! »

الميزان

LA BASCULE

«موريس دونيه Maurice Donnay من الكتاب القلائل الذين وضعوا أساس المسرح الفرنسي في أوائل القرن الحالى ، وقد مثلت قصصه فى فرنسا وترجمت إلى عدة لغات أخرى ، وقصته « الميزان » La Bascule تعبر أصدق التعبير عن فن موريس دونيه ، فهى قصة هادئة ناعمة لينة تتعرض لبحث أزمة عاطفية من الأزمات التى يمر بها معظم الأزواج والزوجات وخاصة فى فرنسا ، وهى خالية خلواً تماماً من مظاهر العنف والدجل والتهويل التى اعتاد الكتاب المسرحيون فى العصر الذى ظهرت فيه « الميزان » أن يعمدوا إليها لإستجداء تصفيق النظارة !

•••••

غرفة من غرف الممثلين فى أحد مسارح باريس الكبرى ، وعلى وجه التحديد غرفة الممثلة الأولى فى ذلك المسرح روزين بيرنيه Rosine Bernier التى تقوم بتمثيل قصة حديثة للؤلف بول لورسى Paul Lorsay وقد نجحت روزين فى أداء دورها نجاحاً باهراً تحدثت عنه باريس ، وأقبل من أجله رئيس الجمهورية نفسه لمشاهدة القصة وطريقة تمثيل روزين لها . . ولا نلبث أن نعلم من حديث روزين الى إحدى زميلاتنا شيئا عن خلقها ، فهى من النساء اللاتي لا يقبلن أن يكون لهن صديقان فى وقت واحد! وهى لذلك ضجرة بمظاهر الغرام والحب التى يبديها ذلك الجمع الحاشد من المعجبين الذى يحيطها كل ليلة ولكنها مع ذلك تشكون منها تعيش بغير أن يخفق قلبها ! ونعرف من

حديث الممثلة الأخرى ان لورسى مؤلف القصة الشاب يميل الى روزين
وانه قد يكون من محبيها. ولا تكاد تنقضى برهة حتى يقبل لورسى ويتحدث
الى روزين حديثا نستطيع أن نستشف منه مبلغ العاطفة التي تضطرم في
صدره نحوها ، ولكنها لا تلبث أن تستقبل في نفس الغرفة شخصا آخر يدعى
هو بير Hubert . تتلقاه في حفاوة حارة وترحيب قوى ، ونعرف أن هو بير
هذا كان صديقا لها في أوائل عهدا بالمسرح ولكنه انقطع عنها منذ خمسة
أعوام فلم تعد تعرف عنه شيئا . وهى تسأله عما أبعد عنها طول تلك المدة ،
فيجيبها انه انتقل الى الريف ، وانه كان قد شاهدتها في أول ليلة لتمثيل القصة
الجديدة فسر لنجاحها العظيم سرورا دفعه الى مشاهدة المسرحية عدة مرات
الى ان رأى رئيس الجمهورية في هذه الليلة يشترك مع النظارة في إبداء
الإعجاب بفنها . وعندئذ فكر في أن يصعد هو الآخر كصديق قديم ليقدم
لها تهنئه ! وتحس من خلال حديثهما أن روزين سعيدة بلقاء صديقها القديم
وانها راضية بأن تصل ما انقطع من تلك الصداقة . . ولكنها لا تلبث أن
تعلم أن هو بير متزوج فتذهل في بادىء الأمر ثم تتمالك قواها وتسأله عما
إذا كان قد أنجب من زوجته أولادا أم لا . . فاذا أجابها بأنه لم يرزق حتى
ولا ولداً واحداً تطرقت الى سؤاله عما إذا كان يحب زوجته ؟ فيجيبها بأن
عاطفته نحوها أقرب الى الحنان منه الى الحب وأن هذه الزوجة تحبه حباً
يقرب من الجنون . فاذا قالت له :

— إذا فأنت لا تستطيع أن تحبني !

أجابها مسرعا :

— أستطيع أن أحبك الى درجة الجنون . !

ويشعر بمبلغ ريبتها في صدق قوله فيحاول أن يثبت لها انه في مكنة

الرجل المتزوج أن يحب وأن يكون وفيًا في هذا الحب ! ويدل على ذلك بنفس
موضوع القصة التي تقوم هي بتمثيلها ، فبطلة القصة متزوجة من أحد
النبلاء وهي جميلة فانتة ومع ذلك فهذا لم يمنع زوجها النبيل من أن يخونها !
ولكن روزين تعترض على ذلك بأن بطلة القصة انما هي من ذلك الصنف
من الزوجات اللاتي يبغضن حياة كالحياة التي كانت تعيشها ممثلة دور البطولة .
ويدهش هوبير لذلك فهو لم يكن يعلم ان روزين تزوجت ، ولكنها تدلى
اليه بأنها كانت متزوجة برجل من الأشراف يدعى الكونت ده بلانكا
De Blancas ، ولكنه أراد أن يمنعها عن مزاوله مهنتها وان يرغبها على الحياة
معها في الريف فملت تلك الحياة وحنّت الى أضواء المسرح وحياة الفن .

ويعود هوبير إلى اغرائها لكي تقبله صديقا ... فتقبل ، ويتفقان على
أن يمر عليها بعد انتهاء التمثيل ... ولا يكاد يخرج بعد أن يقبل يدها وهو
أشد ما يكون تأثراً وانفعالا ، حتى تقول روزين لخادمتها وهي تتقدم للظهور
على المسرح لتمثيل دورها بينما يهبط الستار

— أنه يحبني ... اسرعي ... اسرعي يا ابنتي !

• •

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في مقاطعة «بروتاني» وفي منزل الأسرة التي
تسمى اليها مارجريت زوجة هوبير . وقد أخذت مارجريت تتحدث إلى بعض
أفراد أسرتها عن زوجها وعن أمالها فتعلم أن أقصى آمال تلك الزوجة أن تزرق
من زوجها ذرية تبعث في منزلها المرح والبهجة والسرور ونفهم أنها سافرت الى
إحدى مدن الاستشفاء فقضت بها بضعة أسابيع بينما كان زوجها في باريس وحيداً
دون أن يكون عليه رقيب ! ونشعر من تعليقها أنها تثق بزوجها وتحبه وتخلص له

ولا تكاد مرجريت تغادر الغرفة حتى نعرف أن هوبير قد تلقى رسالة بتوقيع ده بلانكا زوج الممثلة روزين يستدعيه فيها للحضور بسرعة . وأنه لما تلقى تلك البرقية استنتج توا أن ده بلانكا قد علم بالعلاقة التي بينه وبين روزين وأنه رغم افتراقه عن روزين قد ثار فأرسل يستدعية ليثار لشرفه ! وتعرف أيضا أن هوبير قد خاف على سمعته وخشى أن يفتضح أمره أمام زوجته التي لا تعلم شيئا عن ذلك كله فأرسل أحد اصدقائه الى روزين التي تقيم هي الأخرى في بلدة مجاورة يخبرها انه مضطر لأن يقطع كل علاقة له بها ، وهو لا يزال ينتظر عودة ذلك الصديق على أحر من الجمر . وبعد الدقائق والثواني لكي يرى كيف قابله روزين وماذا تم بينهما ، وهو أثناء ذلك تنتابه أزمة يحس فيها بحريمته التي ارتكبها في حق زوجته بإقدامه على إنشاء علاقة آثمة بامرأة أخرى . وتحس به وهو يكاد يهم بالاعتراف لزوجته .

ويعود الصديق الذي ارسله اخيرا ليخبر هوبير بأن البرقية التي تلقاها بتوقيع ده بلانكا انما كانت في الواقع رسالة من روزين نفسها إذ انها خشيت ان تقع البرقية في يد زوجته ، ويدهش هوبير لذلك ويسأله عما فعل بالرسالة التي كلفه بارسالها الى روزين وعندئذ يجيبه بأنه اعطاها لها إذ انها كانت مغلقة ولم يكن يعلم ما فيها !

ويثور هوبير لدى سماعه ذلك ، فقد كتب تلك الرسالة يقطع علاقته بروزين على اعتقاد أن طليقها هو مرسل البرقية ولكنه وقد اتضح انها هي التي أرسلتها وكانت تظن انه يفهم ما ترى اليه فقد كان واجبا ألا تصل رسالته الى يدها ! ويلحظ قريب زوجته إرتباكها فيشبهه بقصبة نوع من الموازين الريفية التي كانت تتكون من لوح يوضع على حجر كبير ، فاذا ارتفعت إحدى الكفتين انخفضت الكفة الأخرى ويذكر له انه قصبة ميزان عاطفي !

زوجته في إحدى كفتيه وروزين في الكفة الأخرى ، ويسأله :

— وأين زوجتك الآن : في أعلا أو في اسفل الميزان؟

فيجيبه هويير :

— في الكفة العليا ! في الكفة العليا ! - ولا يكاد يلتفت حتى يرى زوجته مقبلة فيدللها ويخاطبها بلهجة رقيقة حنون . ثم يدور بين الزوجين هذا الحوار الرائع .

مرجريت : انت تحب زوجتك العزيزة إذن ؟

هويير : آه .. ؟ أجل اني أحبها

مرجريت : أحقا ماتقول ؟

هويير : إطمئني . إنك في الكفة العليا

مرجريت : « مندهشة » العليا ؟ ماذا تقصد ؟

هويير : في العليا .. في العليا ... في العليا تماما !

...

وتنقضى ثلاثة شهور .. وقد تصالح اثنائها هويير مع روزين واعتذر لها عن حادثة الرسالة التي أرسلها اليها يعلن فيها قطع علاقته بها ويستعيد الاثنان فعلا تلك العلاقة ويتفقان على اللقاء في موعد تذهب اليه روزين راضية ، ويدخل الاثنان الى المكان الذي أعدها لذلك اللقاء ولكن لا يكاد هويير يظل من نافذته حتى يصبح كالمجنون ويهبط درج السلم مسرعا وهو يعلن أنه رأى زوجته داخلة الى نفس ذلك المكان ، وتنتظر روزين مدة فلا يعود ، ثم تسأل الخادم عن سر كل تلك الضجة التي أثارها فتعلم أن هناك

سيدة كانت قد دخلت لتزور إحدى قارئات الكف وقد ظن هو بير انها زوجته فأسرع بالخروج وترك روزين وحدها ثم لم يعد اليها ...

وأنت تعرف تفاصيل تلك الحادثة من حديث يدور بين روزين وإحدى زميلاتها في منزل روزين كما تعرف ان الممثلة الكبيرة قد اعتزمت ان تتأر لنفسها بأن تغل الى هو بير بأنها تحب المؤلف لورسى وهذا المؤلف قد أ كثر في الواقع من التردد عليها في الأيام الأخيرة وصارحا بحبه لها - وهي تذكر زميلتها انها أرسلت في استدعاء هو بير لتجابهه بذلك إذ من العيب أن تكتفي المرأة بأن تصارح صديقها بأنها لا تحبه بل يجب أن تردف ذلك بقولها أنها تحب شخصا آخر! وتؤكد زميلتها أنها قد انتهت الى اليقين بأن الرجل المتزوج لا يصلح لأن يكون صديقا لأن مجرد الظن بأن زوجته على مقربة منه يجعله يسرع بالهرب تاركا صديقه وحدها لا تعرف ماذا تفعل في ذلك الموقف الحرج ...

ويقبل هو بير بعد قليل وتجاهه روزين بأنها تحب لورسى وبأنها ترغب في ألا تراه بعد ذلك. ويستشيط هو بير غضبا لدى سماعه ذلك ويلجأ من طرف خفي الى انها بذلك تدفعه الى أن يتخذ قرارا خطيرا قد يهدد حياته كلها بالخطر وتفهم روزين من ذلك انه يفكر في طاب الطلاق من زوجته فتصححه بالافعل ذلك وتخبره بأنها قد علمت بأن زوجته تحبه وانها لا تستحق منه إلا كل خير ..

وتحاول روزين الخروج للذهاب الى موعدهام ولكنها يمنعها من الخروج معتقدا انها ذاهبة للقاء لورسى ويعمد الى استعمال شيء من العنف في منعها فلا ترى هي مناصا من الإلتجاء الى الحيلة والدهاء وتجلس الى جانبه تدلله في رقة وحنان وهي تكرر له أنها ما كانت تظن أنه يجبها الى هذا الحد ثم

تستأذن منه وبعد برهة تظهر في شرفة تطل على المكان الذي تركته فيه ويتحدث الاثنان. هو في الغرفة وهي في الشرفة حديثاً قصيراً ينتهي بان تدعه وحيداً في ذلك المكان وتذهب هي الى الموعد الذي كانت قد ذكرته له ويتبين هو بغير انها سجنتمه في ذلك المكان إذ اغلقت الباب بالمفتاح حتى لا يتمكن من الخروج وسخرت منه وهي خارجة فطلبت منه أن ينتظر أوبتها من المسرح بعد أربع ساعات. ويسمع ضحكاتها وهي تهبط الدرج فيدور في الغرفة وهو يصيح!

- روزين ..! روزين هذا فظيع! .. هذا فظيع القدضعت! ماذا أقول لزوجتي؟ هذا مخيف كيف يمكن الخروج من هنا! لقدضعت! آه! اللعينة! ثم يلقي بقبعته على الأرض وفي ثورة حنق وغيظ يركل المائدة بقدمه فسقط أواني الشاي وتتحطم!

.....

فاذا كان الفصل الأخير فنحن في منزل هو بغير وقد أخذ اصداقاه وأقارب زوجته ينتظرونه على أحر من الجمر إذ طالت غيبته عن موعد العشاء الذي اعتاد أن يحافظ عليه منذ تزوج مارجريت فاذا اشتد الضجر بمرجريت لتأخر زوجها خشيت أن يكون قد أصابه سوء حتى عاقه عن الحضور في مواعده المعتاد فخرجت من المنزل وأخذت تجوب انحاء باريس وتستفسر من « اقسام » بوليسها عن الحوادث واسماء المصابين ويقتل هو بغير أخيراً مع رجل من أقرباء زوجته وتعلم من حديثهما أن ذلك الرجل قد كلفته مارجريت بالبحث عن زوجها فأعياء البحث وأخيراً فكر في الذهاب الى روزين لعلها تهديه وقد صدق ظنه إذ انها أخبرته بالمكان

الذي حبست فيه هو بير وأعطته المفتاح لكي يفتح له الباب ويسهل له الخروج
وتعود مرجريت الى المنزل أخيرا فلا تكاد ترى زوجها حتى تسقط على
أحد المقاعد فاقدة الوعي لشدة أعيائها وتعبها ويلتف الجميع حولها ليعنوا بها
ويتحدث هو بير إذ ذاك الى من يجاوره فتشور مرجريت وتتهمه بأنه لا قلب
له وأنه بينما يراها في تلك الحالة السمينة التعسة بسببه لا يتحرج عن التحدث
الى الناس والمزاح معهم ويدفع هو بير هذه التهمة بحجة ترضيها غاية الرضى
إذ يخبرها بأن صديقا له كانت له زوجة لم يرزق منها ذرية قط وقد حاول بكل
الطرق ان ينال تلك الذرية المنشودة فلم يوفق وأخيرا حدث انهما كانا
سائرين في أحد شوارع باريس فاختلف على اثنين من رجال البوليس شكل
الزوج وقبضا عليه باعتبار انه مجرم فار واقتاداه الى المحضر وحجزاه هناك
مدة ما حتى أمكن إستجوابه وقد ذهبت زوجته لذلك وكانت الصدمة شديدة
عليها إذ انها لم تعرف في بادىء الأمر السبب فى القبض على زوجها فلما اتضحت
الحقيقة . كانت الصدمة قد أثمرت ثمرتها ولم تكذب تنقضى تسعة شهور حتى
رزق الزوجان ولدا جميلا!

ويعتذر هو بير بعد ذلك عن سبب تأخره بعذر ما ويؤكد لزوجته ان
هذه الصدمة التي حدثت لها سوف تحقق أملها العتيد فى الحصول على ذرية
منه ويدعوها لهذه المناسبة الى تناول العشاء فى أحد المطاعم . . .

وتقبل هى دعوته على ألا يعود مرة أخرى الى التأخر عن مواعده
فيعدها ويقسم على ذلك ، ولكنه ينيبها الى انها قد لا تكفى بولد واحد
لأنها إذ ذاك سوف تكون فى حاجة الى صدمة أخرى !
وتنتهى القصة هكذا فى حوار هادىء لاضجة فيه . .

مرجريت - مادمت قد فطنت الآن فلن أنزعج مرة أخرى ولن
يصيبني ما أصابني اليوم ثم إنني قد فكرت وسوف أقنع بولد واحد
هو بير - هيا استعدي للخروج

فاذا غادرت مرجريت الغرفة وتبين هو بير انه خلا الى نفسه تتم
- كلا ... هذا ليس ممكنا ... يجب ان أعدل عن هذه الحياة ... ليس
من المعقول ان يحب الرجل زوجته ويفضلها على الناس أجمعين ومع
ذلك يخونها! ...!

في داخل الولايات المتحدة الأمريكية

INSIDE U. S. A

هذا الكتاب هو الحلقة الرابعة من سلسلة الكتب الوصفية الدقيقة التي أصدرها جون جنتر John Gunter، واجتهد فيها أن يقدم لقرائه صورة جريئة فذة للعالم الحديث، وكتاب «في داخل الولايات المتحدة الأمريكية» كالكتاب التي سبقته لنفس المؤلف يهيج نفس النهج في الدراسة والتحليل والعرض، ولا يفترق عنها إلا في أنه أضخم حجماً، ويبدو لقارئ هذا الكتاب جلياً بعد الانتهاء من تلاوته أن مؤلفه أعاد اكتشاف الولايات الثماني والأربعين التي تتألف منها الولايات المتحدة، وأنه كان يسأل نفسه كلها جاب ولاية من هذه الولايات «ما الذي يميز هذه الولاية عن غيرها؟» وقد رأى النقاد الذين حللوا كتب «جنتر» أنه في كتاب «في داخل أوروبا» Inside Europe درس برامج الأحزاب السياسية التي ظهرت قبيل الحرب العالمية الأخيرة في إيطاليا وألمانيا وأسبانيا وغيرها، وهي برامج أضعف وأضعوا عليها مسحة من الوطنية المتطرفة، وأنه في كتاب «في داخل آسيا» درس أنظمة الاستعمار الأوروبي، بينما في كتابه الأخير الذي هو موضوع حديث اليوم قد درس الديمقراطية وهي تعمل، واكتشف القوى العديدة المعقدة التي تحرك الولايات المتحدة الأمريكية، وكان متوقفاً بعد أن أصدر «جنتر» كتابه الثلاث الأولى «في داخل أوروبا» و«في داخل آسيا» و«في داخل أميركا اللاتينية» وهي التي يبيع منها في الولايات المتحدة وحدها أكثر من مليون

نسخة والتي ترجمت الى تسع عشر لغة اجنبية ، كان متوقعا أن يتوفر على
إخراج هذا الكتاب عن الدولة التي ينتمى إليها .

ومن الفصول الطريفة التي يضمها كتاب « جنتر » الجديد والتي تهتم
الشرق العربي فصل عن حياة السود في امريكا ، جعل عنوانه « أحياء هارلم »
وقد عرف الناس هنا أن حى السود في نيويورك يطلق عليه اسم « هارلم »
ولكن القليلين هم الذين يعرفون ان دولاً أخرى في اميركا تضم احياء لرعاياها
السود تحمل نفس الاسم . ففي جمهورية « بويرتوريكا » Puerto Rica وفي جزيرة
هايتي Haiti حيان يحملان نفس الاسم . كما ان القليلين هم الذين يعرفون أن حى
هارلم بنيويورك يعيش فيه روسيون واسبانيون ومكسيكيون وصينيون
ويابانيون ممن يرفضون العودة الى كاليفورنيا وهي الولاية التي تقابل وطنهم
الأصلي في الجانب الآخر من المحيط الهادى . وهذا الحى يضم أكبر جالية
فنلندية في الولايات المتحدة . ولعل هذا الطابع الدولى يبدو جلياً في مدرسة
« بنجامين فرانكلين العليا » التي تقع على ضفة النهر الشرقى وهي إحدى
مؤسسات الأميركيين السود ، فلا يوجد معهد آخر في اميركا يضم من
تضمه هذه المدرسة من طلبة ينتمون الى أمم الدنيا المختلفة ، وأكبر جالية
تلى الزوج الذين يعيشون في « هارلم » عدداً هي الجالية البويرتوريكية إذ
يبلغ عدد أفرادها نحو مائة الف . فأهل بويرتوريكا والزوج يعيشون في
وفاق جنباً الى جنب ، وقد ذكر « جنتر » في كتابه أن رجلاً من بويرتوريكا
أخبره ذات يوم أن هذا الوفاق طبعى لأن بنى وطنه يرغبون فى أن
يكتسبوا العقلية الأميركية فى أسرع وقت ممكن فاختاروا « هارلم » لأن
الزوج يمثلون الثقافة الانجلوساكسونية وأهل « هارلم » مطمئنون الى
الضمانات التي تحمى حرياتهم الشخصية الى حد أن صينيا يحترف مهنة غسل

الملابس وكيها علق على باب حانوته لافتة أعلن فيها أنه ملون كما أن هارلم تضم جالية من اليهود السود . وحى « هارلم » وان لم يضم أكبر عدد من زواج اميريكاً إلا انه أهم مركز لنشاط هؤلاء السود ، فبين الشارع رقم مائة وعشرة والشارع رقم مائة وخمسة وخمسون ، وبين ماديسون افينيو وشارع نيكولاس ، يعيش نحو ثلاثمائة وعشرة آلاف زنجي ، وهذا العدد يفوق عدد سكان بعض مدن بأكملها من مدن الولايات المتحدة كمدينة « أوريجون » التي ترسل وزارة معارفنا بعض بعثاتها العلمية الى جامعتها ، وحى « هارلم » لا يضم اكثر من نصف عدد الزوج الذين يعيشون في مدينة نيويورك . إذ ان عددهم يبلغ ستمائة الف ، وقبل بضعة أعوام كان الزوج يعيشون في أما كن منزهلة لا يختلطون فيها بالبيض . أما الآن فقد انتشروا في كل المدينة وحى « هارلم » نفسه يتسع تدريجياً يوماً بعد يوم فان أهله لا يعترفون بأن له حدوداً معينة يقفون عندها !

ويذهب « جنتر » في كتابه الجديد الى أن « هارلم » يشبه « هوليوود » مدينة السينما في أن هاتين المنطقتين انفصلتا عن باقي الوطن الأميركي وتميز كل منهما بطابع خاص من الصعب وصفه ، وان أسهل شيء هو أن نقول أن « هارلم » هو صورة سوداء مصغرة لكل مدينة نيويورك ! ويخيل الى الناس أن « هارلم » لا يعدو أن يكون حياً من أحياء الفجور تتناثر فيه الملاهي والمراقص . مع ان بعض أهالي « هارلم » لم يروا ملهى ليلياً في حياتهم ولا مرة واحدة ! ولكن هذا لا يمنع أن جزء من « هارلم » قد خصص لأغراض اللهو والعبث وقد ذكر « جنتر » في كتابه أن الاجماع منعقد على أن هذا الجزء من اكثر أحياء الدنيا ازدحاما بالناس ، وان ممثلاً لإحدى شركات بناء المساكن قد زار مسكناً في « هارلم » انقضى على بنائه اربعة

وستون عاما فوجده ملوثا قذراً كرهه المنظر يهدد الصحة بالخطر وان الفيران
فيه كانت من الكثرة الى حد انه قيل عنها إنها لم تقبل اليه لتأكل بل لتطهى
طعامها ايضاً !

ولكن هذا كله لايعنى أن « هارلم » من الأحياء القذرة ، ففيه عدة أبنية
يضم كل منها شققا للسكن بنيت قبل أن يصبح الحى حياً زنجياً بمدة طويلة ،
ولا تزال تحتفظ برونقها ، والمشكلة تبدو في احتشادها بالسكان وسوء
العناية بها . كما انه قد بنيت فى المدة الأخيرة عدة أبنية حديثة للسكن ، ومنها
عمارة تعرف باسم « تل السكر » يتباهى أهل « هارلم » بأن ساكنيها هم أرشق
من فى اميريكاء السوداء ، ففيها يسكن والتر هوايت Walter White سكر تير « الجمعية
الوطنية لتقدم الشعب الملون » National Association For the advancement of
Colored People وتشارلز تونى Charles Tony القاضى ببلدية نيويورك وروى
ويلكنز Roy Wilkins محرر صحيفة «الأزمة» وتير جو دمارشال Thuur Good Marsgall
أحد مشاهير المحامين السود . وتبلغ قيمة الإيجار فى عمارة « تل السكر » خمسة
وثمانين دولاراً فى الشهر للشقة التى إذا وجدت فى حى « بارك افينيو » وهو
من احياء نيويورك الراقية فان أجرتها لا تقل عن ثلاثمائة دولار شهرياً .

وفى « هارلم » تصدر عدة صحف زنجية منها الصحيفة المحافظة « امستردام
نيوز » AMesterdam News والصحيفة الراديكالية « صوت الشعب » Peoples Voic'e
ولسكن لا توجد به متاجر زنجية للشباب والحاجيات المنزلية وهى التى يسمونها
فى اميريكاء Departement stores فان معظم المتاجر التى من هذا النوع والتى
توجد بالشارع الرئيسى فى الحى وهو الشارع رقم مائة وخمسة وعشرون
يملكها يهود ! ومعظم ملاك أراضى البناء من البيض الذين لا يقطنون الحى ،

كما لا يوجد به مصرف زنجي ولكن الفروع الخاصة بالحى والتى تتبع مصارف
البيض تستخدم فى عملها موظفين من السود .

وفى « هارلم » دار سينما واحدة يملكها زنجى كما ان أهم فنادقه وهوفندق
« تيريزا » Theresa أغلبية نزلاته من الزوج وان كان يملكه رجل أبيض ويعيش
فيه نفر من البيض . وأهم عمل تجارى فى « هارلم » هو التأمين وتليه إدارة
صالونات الحلاقة التى يبلغ عدد الزنجية منها خمسة وسبعين صالونا

ولنقابات العمال نفوذ عميق فى أهل هذا الحى الأسود ، فان عدد
الزوج المنضمين الى اتحادات العمال فى مدينة نيويورك لا يقل عن خمسين
الفاً موزعين على مختلف الحرف ، كالعمال فى مغاسل الثياب وصناعة الثياب
والخمالين والنقاشين وعمال الموانىء . وبعض شوارع « هارلم » تضم عدداً
من أعضاء نقابات العمال أزيد من عدد أولئك الأعضاء فى ولاية بأكلها
كولاية جورجيا مثلاً ، ولعل السبب فى هذا أن مدينة نيويورك تعد
— بوجه عام — أقل تشدداً فى التفرقة بين البيض والسود من غيرها من
المدن الأميركية ، بل ان بعض إجراءات هذه التفرقة تعدها قوانين نيويورك
باطلة . ولكن هذا لم يمنع من أن هناك شيئاً من التفرقة لا يزال سارياً رغم
نصوص القانون

وليس لحي « هارلم » زعيم سياسى يسلم له أهل الحى جميعهم بهذه الزعامة
كما أن مدينة نيويورك نفسها ليس لها مثل هذا الزعيم ، فأهل « هارلم »
يدينون بمذاهب سياسية مختلفة . ومنهم من لاتعوزهم الصراحة فيعلنون
أنهم خصوم للبيض ، ومن الشخصيات الطريفة فى هذا الحى شخصية
عبد الحميد الصوفى الذى أطلق عليه اسم « هيتلر الأسود » والذى دعا الى
عقيدة روحية جديدة وانشأ لأنصاره « معبد السلام والأمن » . كما أن من

الشخصيات الالامعة في الحى شخصية الدكتور كليان باول Clilan Pawl
محرر صحيفة «امستردام نيوز» وهو من أشد الزوج المحافظين تحمساً .
ولعل مما يثير الاهتمام ان رئيس لجنة موظفي الدولة في مدينة نيويورك
وهو فرديناند مورتون زنجى . كما ان أحد اعضاء اللجنة التى ألفتها حكومة
الولايات المتحدة طبقاً لقانون «آيفز» Ives لألغاء التفرقة بين البيض والسود
من رعاياها وهو إيلر كارتر Elmer Carter زنجى هو الآخر، والعضو الشيوعى
الوحيد فى مجلس ولاية نيويورك وهو بنجامين ديفيز Bengamin Davis زنجى
وهو من خريجي مدرسة الحقوق بجامعة هارفرد كما انه يصدر صحيفة « ديل
وركر » Daily Worker وهى صحيفة شيوعية مع أن والده من اقطاب الحزب
الجمهورى فى ولاية « اتلانتا » وهو يصدر فيها صحفا تنطق بلسان الجمهوريين !
ولقد ختم « جنتر » هذا الفصل الممتع من كتابه بهذه الكلمات
« فى ركن من أركان الشارع على مقربة من فندق « تيريزا » وقفنا نستمع
الى خطاب كان يلقيه آدام كلايتون Adam Clayton الزنجى عضواً الكونجرس،
الذى يكرهه كثير من الزوج . وهذا الرجل له صوت ساخن يخيل الى سامعه
انه يخرج من جوفه نزيفاً متدفقاً ، وهو لا يتوقف لحظة واحدة بين الجمل .
وفى تلك الليلة كان ينسكرك فى لهجة تفيض عداً للبيض أن زوجته هازيل
سكوت Hazel Scott العازفة الشهيرة على البيانو من الجنس الأبيض ، كما زعم
بعض الأغبياء ! وقد صاح الخطيب « ان كل زنجى ، ولد لأب زنجى ، يجب أن
يكون زنجياً ، يجب أن يتعصب لزوجيته ، يجب أن يكون مكافئاً على الدوام ،
وهذا الخطيب يحترف الوعظ ، كما كان يفعل أبوه من قبل . وهو يتبع
الكنيسة الحبشية البروتستانتية التى يبلغ عدداً تبعاعها عشرة آلاف على الاقل
وهو أول زنجى ينتخب فى مجلس مدينة نيويورك . كما انه أحد زنجيين أئتخبا
عضوين فى الكونجرس .

ولكى أخص ماسبق أقول ان أهم مايميز حى « هارلم » انه يتيح لزوجه
وزنوج نيويورك فرصاً أفضل للنجاح ويمهد لهم حقولا للعمل لايتسنى لهم
الحصول عليها فى أية مدينة أخرى مماثلة . فانهم فى هذا الحى تعطى لهم فرص
التعليم والعمل الحر والتطور الاجتماعى وخدمة الدولة ، وهم فيه ينالون
نسبة من حقوق المواطن الاميريكى لاينالها الزنوج فى غير تلك المنطقة من
الولايات المتحدة ،

راقصة ماتت

UNE DANSEUSE EST MORTE

هذه قصة للممثل لا الكاتب لو بارجي Le Bargy فلو بارجي ممثل قبل كل شيء ، وهو من الممثلين الذين كانت تعز بهم خشبة المسرح في فرنسا . بل في العالم أجمع . وقد كتب هذه القصة التي أسماها « راقصة ماتت » Une Danseuse est Morte بعد أن قام بإخراج عدد هائل من المسرحيات الخالدة لأكابر الكتاب المسرحيين في فرنسا كهنرى لافدان وبول هيرفيو ووفق في إخراجها التوفيق كله ... وقد حضر إلى مصر في أوائل القرن العشرين ولعب دوره المعروف في قصة « المركيز ده بريولا » على مسرح الأوبرا الملكية ، ووصل إلى ذروة النجاح التي تقصر جهود غيره من الممثلين عن الوصول إليها ..!

* * *

نحن في بيت الأنسة ريجين Regine Rolland وهي شابة مشتعلة الحواس جياشة العواطف ، كانت تشتغل راقصة في أحد ملاهى باريس ، فلاقت في رقصاتها نجاحاً لا بأس به ؛ ولا يكاد يبدأ الفصل الأول حتى تعلم من حديث يدور بين ريجين وعمة لها أنها صديقة رجل أعجب بها وهي تلقى أحد أناشيدها في الملهى الذي كانت ترقص فيه ، فألقى عليها باقة من القرنفل الأحمر ، ثم عرض عليها أن يعيشا معاً ، بعد أن أكد لها حبه وتقديره . . فاستأجر لها هذا البيت الذي تعيش فيه ، وهو يتردد عليها من

آن إلى آخر ؛ ولكنها سئمت هذا النمط من الحياة ، فهذا الرجل يحجر على حريتها ، ويحرم عليها العمل أو الرقص واللهو الذي كان غذاء روحها الفنية فيما مضى .. وهي تبدي لعمتها ذلك السأم الذي ينغص عليها حياتها وتصارحها بأنها قد اعتزمت قطع ما بينها وبين صديقها والعودة إلى اعتلاء المسرح والرقص في ملاهى باريس !

ويقبل شاب يدعى فريد Fred فتعلم أنه الذي تحبه ريجين وتريد من أجله أن تهجر صديقها الذي يعولها وينفق عليها . وهما يتناجيان الحب ، فتحس بأن كلا منهما يكاد يفنى في الآخر ، تطلب إليه أن يعانقها ويضمها إليه ، فيفعل ، ولكنها سرعان ما تتخلص منه وتسرع الى النافذة وكأنها سمعت صوت خطي ، ولا تلبث أن تفهم السر في الحركة ، فهي تخشى أن يكون صديقها قد قدم ! وهي تصرح « فريد » بذلك فيطمئنها ويتفقان على أن يعود فريد بعد خروج صديقها - وأن يدق كالعادة - ثلاث دقات على النافذة ، ثم ثلاث دقات أخرى على الباب !

ولا يكاد يخرج فريد حتى يقبل « چاك » صديق ريجين . . وسرعان ما يفاجأ بأنه قد رأى كل شيء ، وتبين ريجين أن الصوت الذي سمعته وهي تعانق فريد كان صوت خطي چاك ، وأنه رآها وهي تعانقه . . وعندئذ تشورتصارحه هي الأخرى بأنها اعتزمت قطع ما بينهما من صلة ومغادرة البيت الى حيث تتابع حياتها كراقصة ، وهي تهزأ بما أنفقه عليها من مال ، وتذكر له أنها وهبته شبابها وفتنتها وحنانها ، وأنها قبلت المعيشة معه رغم تفاوت السن بينهما ، وهو يهتمها بأنها تتركه من أجل رجل آخر تحبه . ثم يقول لها :

— أنكن جميعاً على وتيرة واحدة عندما تقدمن على الخيانة ! فالسعادة مع

العشيق الجديد لا تكفى ، بل أنكىن تعمدين دائماً إلى اشقاء العشيق
الذى تهجرن !

ولكنه يعود بعد ذلك فييدى استعداداه لقبول ماتقترحه . وهو يضع
نفسه تحت تصرفها ويقبل كل شيء ! فتذكره بأنه ظل طول المدة التى اتصل بها
فيها يحيط نفسه بجو من الغموض والأسرار ، فهو إلى هذه اللحظة لم يطلعها على
شخصيته... وهنا يميظ اللثام عن تلك الشخصية ، فإذا به چاك برسانچ Barsanges
المحامى والنائب الاشتهراكى المعروف الذى تولى الوزارة عدة مرات ولا يزال
فى مكتبته أن يتولاها متى شاء ، فإذا علمت ذلك وأخبرها أنه أعزب سألته :
— مادمت أعزب ، فمن التى توقع مقالاتها بامضاء « أليس برسانچ » فى
جريدة « الشعب » ؟

فيجب أنها شقيقته ، وأنه من أجلها ومن أجل أعضاء الحزب الذى
تنتمى إليه قد تعمد احاطة حياته الخاصة بذلك الغموض لكيلا يدع مجالاً
للطعن عليه .

ثم تلح الى أن الوقت قد مر سراعاً ، والى انه يحسن به أن يتركها !
وتطلب إليه أن يخرج فهي تحب شخصاً آخر !.. فإذا أبى الخروج عمدت الى
النافذة وصاحت :

— فريد ! فريد !

ويشور چاك . ويأمرها أن تكف عن تلك الإهانة القاتلة . فتقول :
— أنه سياق .. لا بد أنه قد سمعنى .. انه ينتظر خروجك .. سيعود

لقضاء هذه الليلة هنا !

وعندئذ لا يتالك چاك نفسه فيهجم عليها ويقبض على عنقها وهو يصيح :
— لن تريئه مرة أخرى .. عشيقك فريد .. أسمعين .. لن تريئه أبداً . أبداً !

ثم يلقبها على المقعد الطويل ، ولكنه يتبين توأ أنها سقطت هامة
لا حراك بها فيتقدم إليها في رهبة وينادى :

— ريجين ريجين اكسينى ، إن صمتك يرعبنى .. ريجين !
ثم ينحن عليها ولا يكاد ينصت إلى قلبها حتى يصرخ :
— لقد ماتت .. أنا الذى قتلتها !

وفى هذه اللحظة تسمع ثلاث دقات على النافذة ، فيبدو الخوف على
چاك ويطنئء المصباح ، ولكن ضوء القمر يغمر جثة ريجين ، فاذا تقدم
چاك إلى باب السلم الخلفى سمع ثلاث دقات أخرى على هذا الباب ، فيتراجع
مدعوراً ويخرج من الباب الصغير بينما فريد يصيح من الخارج :
— ريجين .. افتحى ! .. إنه أنا !

* * *

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى مكتب چان بارسانج ، وقد أخذ يتحدث
إلى شقيقته أليس Alice ويشرح لها كيف ماتت صديقه الراقصة ريجين ...
وأنت تفهم من هذا الحديث أن ريجين كانت مريضة بضعف القلب ، وأنه
ما كاد چاك يقترب منها حتى سقطت ميتة ، ولكنه لم يكن له يد فى ذلك ، وهو
أشد ما يكون ندماً وتألماً وشقاء لوقوع تلك الكارثة .

ويحضر الخادم الصحف الصادرة فى الصباح ، فإذا بها تنشر نبأ الفاجعة
وتشير إلى أن القاتل قد وجد بجانبها وهو شاب يدعى فريد ! .. ولا يكاد
چاك يقرأ هذا حتى يبدى رغبته فى أن يعلن الحقيقة ويسلم نفسه للعدالة ،
فهو يأبى أن يتسبب فى إدانة برىء لم يحن شيئاً ... وتدعر شقيقته لذلك ،
وتذكره بأنه لو نفذت تلك الرغبة لقضى على آمال العديدين من أنصاره

السياسيين ، ولحطم الحزب الاشتراكي الذي ينتمي إليه . فإنه سيرأس المؤتمر الذي سيعقده هذا الحزب بعد خمسة عشر يوماً ، ولكنه لا يعبأ بكلامها ..
ويقرر أنه لا يقبل أن يضحى بذلك الشاب النعس ، فتلح عليه وتلحف وتثير في نفسه كل حاسة دقيقة لكي تستفزها إلى التفكير في حزبه ومستقبله السياسي وأنصاره الذين يثقون به ثقة تامة ... ويتأثر جاك بعض الشيء بلهجتها القوية المتحمسة ، فيطلب إليها أن تدعه يفكر مدى ساعة ينبأ بعدها بما ينتهي إليه عزمه !

ولكن الخادم يقبل إذ ذاك يعلن أن هناك شخصاً يدعى مارتان جاييه Martin Gayet يلتمس مقابلة جاك لأمر في غاية الخطورة والأهمية .. ولا يكاد هذا الشخص يدخل حتى يقدم نفسه فإذا به عضو في الاتحاد السياسي الذي ظل جاك عضواً فيه مدة طويلة ، فهو أقدم الأحزاب السياسية التي انتمى إليها وأعزها لديه . وإذا به والد « فريد » الذي قبض عليه متهماً بقتل الراقصة ريجين ! قدم يعرض أمر النكبة التي حلت بولده على جاك باعتبارها محامياً كبيراً عرفت عنه الرغبة الصادقة في نصرة الأبرياء والمظلومين ، وهو يؤكد لجاك براءة ابنه ، ويستشهد على ذلك بحمانه الأبوي الذي لا يخطئ ..
ويقرر أنه قد قابل ابنه في السجن فأخبره أن القاتل لها صديق آخر ولكنه لا يعلم اسمه ولا شخصيته لأنه كان يتستر غاية التستر ، ولا يدع أحداً يكشف سره ... وتساءله الأنسة أليس عما إذا كان المحققون لم تحظر لهم فكرة موت الراقصة موتاً طبيعياً لا جريمة فيه ؛ فيجيبها بأن الأطباء قرروا وجود آثار أصابع على عنقها ... فلا يكاد جاك يسمع ذلك حتى يهوى إلى أحد المقاعد وقد فقد الوعي ، وتدفع هي الزائر إلى الخروج نظراً لمرض شقيقها وتعدده بالكثابة إليه قريباً ...

فاذا خلا چاك الى شقيقته أنبأها بأنه قد أصبح أشد عزماً على
وجوب الافضاء للمحققين بكل شيء . فلم يعد هناك بعد رؤية ذلك الأب
المسكين التمس مجال للتردد ... واتهمها بأنها أغلقت قلبها في وجه كل رحمة ،
ولكنها لا تقنع بذلك فتجيبه :

— إن الرحمة فضيلة الضعفاء !

وتذكر له ان ذلك المتهم المقبوض عليه قد يبرأ دون حاجة الى إعلان
الحقيقة من جانبه ... ولكنه لا يثق تماماً من حكم البراءة ، فقد يدان ويحكم
عليه بالأشغال الشاقة أو الاعدام ... وتضيق شقيقته به ذرعاً فتقول له :

— لقد تبينت الآن في نوع من الرعب انك مريض .. مريض يعذب نفسه
بنفسه .. إنك تتلذذ بتحطيم نفسك .. بتحطيم جاهك ومستقبلك . إنك
تمقت الهناء والسعادة !

ويثور چاك إذ ذاك فيصارعها بأن الحكمة تقضى عليه بالإفصال عنها ،
وإبعادها عن سبيله في الحياة . فاذا قالت له
— أيها الشقي ! إنني صديقتك الوحيدة .

أجابها

— إنك عدوتي !

ثم يصيح بها ويطردها من المنزل فتخرج بعد أن تقول له

— إنك لست إلا مجنوناً تعسا !

فيتبعها وهو يصيح

— أخرجني ! أخرجني ! كلا . لست مجنوناً . لم أجن بعد !

ويسرع الى التليفون ليتحدث الى مكتب النائب العام فلا يجده وعندئذ يطلب الى سكرتيره أن يرجو النائب العام بأن يحادثه تليفونيا بمجرد حضوره ثم ينادي نفسه قائلاً

— سأعترف بكل شيء .. سأذهب الى النائب لأفضي بسر جريمتي !

وهنا يصاب جاك بنوع من الاضطراب العقلي فيتجه الى مائدة عليها آنية ينمو فيها القرنفل الأحمر الذي رأيناه في الفصل الأول عند ريجين فينتزع القرنفل بكلتا يديه ويضمه الى صدره وهو يقول في حنان مجنون

— ريجين ! يا صغيرتي ريجين .. ها هو ذا قرنفلك ! أتذكرين ذلك القرنفل الذي ألقينته تحت قدميك ليلة كنت ترقصين . أنت تذكرين .. آه .. أنت تذكرين « يسمع جرس التليفون » آه ! الأوركسترا ، إنه الأوركسترا ! إسمعي الموسيقى .. ريجين ! إسمعي ! أرقصي ! أرقصي يا ريجين ! ريجين ! أرقصي ! أرقصي !

ثم يسقط فاقد الوعي إلى المقعد المجاور الى مكتبه ..

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في بهو أحد المستشفيات وقد أخذ الطبيب يتحدث الى الأنسة أليس بارسانج فتفهم من حديثهما أن الوزير جاك قد أدخل الى ذلك المستشفى لمعالجته من ذلك الاضطراب العقلي الذي أصابه . كما تعلم أن القضاء قد برأ الشاب فريد من تهمة القتل وأطلق سراحه ، ويقبل جاك ليخبر شقيقته برغبته في الرحيل رحلة طويلة . وبأنه ينتظر قدوم ذلك الشاب الذي اتهم بقتل الراقصة ريجين ثم يرى

ولا تكاد شقيقته تخرج حتى يجلس الى مكتبه ويكتب عنوان رسالة كان قد أعدها
ويقبل فريد مارتان جايبه فاذا به قد أصبح نائراً على كل شيء . متمرداً
على الناس والمجتمع . فقد ذاق مرارة السجن ظلها وعرف كيف ان أحب الناس
اليه وهو والده قد أصبح يشك فيه ولا يطمئن تماماً الى براءته وهو يغلو في
تلك الثورة وذلك التمرد فيعلن لجاك انه لا سبيل لعزائه إلا إدمان المخدرات
المورفين أو الحشيش . ويخبره بأن الملهى الذي كانت ترقص فيه ريجين قد
أفلس واتخذ الدور الأرضى منه بؤرة لتدخين الحشيش . ويتأثر جاك لحالة
ذلك الشاب الشقي فيعرض عليه مساعدته ولكنته يرفض فهو أرفع من أن
يقبل المساعدة من أحد .

ويشتد التأثر بجاك إذ ذاك فيعترف لفريد بالحقيقة ويصارحه بأنه هو
الذى كان موجوداً مع ريجين عند ما ماتت ، ويذهل فريد لذلك ، ويعطيه
جاك تلك الرسالة التي حرر عنوانها منذ لحظة فاذا بها موجهة الى النائب العام
يسرد فيها كل شيء ويطلب اليه أن يسلمها الى النائب فهو معتزم السفر ،
ولكن فريد لا يقنع بذلك فهو يطلب الى جاك أن يذهب بنفسه ويعلن
الحقيقة للجميع . فهو لا يشفق في هذا على سمعة الوزير ولا على ما يصيبه
ذلك الاعتراف العلني من تلويث حياته السياسية . ويقبل جاك ما يطلبه
الشاب ثم يتناول المسدس الموضوع على المائدة ويخرج ، وعندئذ يتناول
فريد الرسالة التي أعطاها له جاك ويقرأها .

وبيدما هو يهجم بالخروج يدخل والده مارتان جايبه وسرعان ما يعلم من
إبنة بأن قاتل ريجين هو الزعيم السياسى جاك بارسانج وانه سيعلم ذلك
للجميع باعتبار انها الترضية الوحيدة لفريد

ولا يكاد مارتان جاييه يسمع ذلك حتى يطلب الى ابنه أن يعدل عن ذلك
الثن الذي يريد أن يتقاضاه من بارسانج ، فيكفي أن يستند الى تلك الرسالة في
طلب رد الاعتبار اليه . ولا يمكن فريد لايهمه العالم أجمع حتى يفكر في أن يرد
اليه اعتباره . بل انه يرمى الى الثأر من چاك . . ويحاول الأب بكل طاقته أن
يثنى ابنه عن ذلك . . ويتوسل اليه ألا يقضى على حياة زعيم سياسى يحمله
ويحترمه ... ويلين فريد أخيراً ، ويعطى رسالة چاك الى والده ويترك اليه
حرية التصرف فى الامر . ولكن الاب يحببه قائلاً :

— كلا . كلا . أنت وحدك تملك الإجهاز أو العفو ...

وفى هذه اللحظة يدوى صوت طلق نارى فى الغرفة المجاورة ، وتظهر
الآنسة بارسانج تنبئ بأن شقيقها چاك قد أطلق الرصاص على نفسه . وتساءل
فريد عما حدث بينه وبين القتيل فيقول :

— لاشيء ياسيدى . لقد تركنى بارسانج بعد أن أبدى نحوى مفتهى الطيبة

— أحقاً ما تقول ؟

— أجل ياسيدى .

— سادى . أرجوكم أن تكتموا سر هذا الموت . انه مات مظلوماً . .

لقد كان أخى يستحق احترام الجميع ، وكان قلبه أظهر القلوب وليس هناك

من هو أحق منه بالرعود مطمئناً تحت صخرة ناصعة البياض ...

تم يهبط الستار . . فقد انتهت القصة !

عالم ما بعد الحرب

THE INTELLIGENT MAN'S GUIDE TO THE POST WAR WORLD

هذا كتاب حديث صدر منذ مدة قريبة ، فقد ظهرت طبعته الأولى في خريف عام ١٩٤٨ ، ولم تكد هذه الطبعة تظهر حتى نفذت ، فأعيد طبعه في نفس الخريف ... ولقد توفر مؤلفه الأستاذ كول Cole على دراسة مشكلات الحرب العالمية الأخيرة وعالم ما بعد هذه الحرب .

فله كتاب ظهر في نفس العام عن « حاضر العملة ومستقبلها » بحث فيه اتفاقية بريتون وودز Bretton woods والقرض الأمريكي والتجارة الدولية والسياسة المالية .

وله كتاب آخر ظهر عام ١٩٤١ عن « أوروبا وروسيا والمستقبل » .
وله كتاب ثالث ظهر عام ١٩٤٢ عن « بريطانيا العظمى في عالم ما بعد الحرب »
وقد بلغ عدد الكتب التي أصدرها اثناء الحرب الأخيرة وبعدها تسعاً .
وقد بحث المؤلف « السياسة والاقتصاد في هيئة الأمم المتحدة » في باب من أبواب كتابه الأخير « مرشد الرجل الذكي إلى عالم ما بعد الحرب » قرر فيه أن أهم ما يجب أن يشغل الأذهان هو الدور الذي ستلعبه هيئة الأمم المتحدة؛ وهل تستطيع أو تعجز عن أن تعمل - كهيئة سياسية - على منع الحرب ؟

فلا شك أن مظهر هذه الهيئة الدولية الجديدة يدل على أنها ما تكونت
إلا لتحقيق هذا الهدف الذي بدأ في « دامبارتون أو كس » Dumbarton Oaks
عندما وضع ميثاقها ، وفي سان فرانسيسكو عندما نقح هذا الميثاق .. وفي جميع
المناقشات العامة التي دارت حول شؤونها بدا جلياً أن الاهتمام الأكبر كان
موجهاً لتحقيقه ... فقد انصرفت أذهان الرجال الذين صنعوا تلك الهيئة —
ومن بينهم السياسيون — إلى وسائل تنظيم العلاقات السياسية الدولية أكثر من
انصرافها إلى مشروعات التعاون الاقتصادي الدولي .

وقد حدث هذا رغم الحقيقة التي لا تزال ماثلة للعيان والتي تتلخص في أن
خيبة عصبة الأمم كانت تعزى إلى حد كبير إلى طابعها السياسي البحت ، وإلى
ضعف تكوين الجانب الاقتصادي منها !

وإنني لأؤكد أن هيئة الأمم المتحدة لا يمكن أن تصبح أداة فعالة في منع
الحرب إلا إذا تمكنت من أن تكون أداة فعالة في تقديم التعاون الاقتصادي
الدولي وفي الاشتراك فيه .

ولكن هذا لا يخطر في بال السياسيين ... بل على العكس ... كان اكتشاف
القوة الذرية حافزاً لهم على تركيز اهتمامهم — أكثر من أي وقت مضى —
إلى الاستفادة من هيئة الأمم المتحدة كأداة لمنع الحرب !

ولذلك — وتأثراً بهذه الروح — ركزت اختصاصات هامة في مجلس الأمن
على حساب الجمعية العامة التي أصبحت تبدو كهيئة تابعة لمجلس الأمن بعد
التعديلات التي أدخلت على مشروع الميثاق .

وبدا التناقض واضحاً عندما أدمج حق « الفيتو » في صلب النصوص
الآخيرة للميثاق التي تمت الموافقة عليها ... وكانت الفكرة المستترة تحت حق
الفيتو ، والتي أوحى إلى عقول معظم مندوبي الدول في سان فرانسيسكو

بالموافقة عليه هي أن أية محاولة لاختضاع دولة عظمى تعنى الحرب... وان هيئة أعدت لمنع الحرب يحسن أن تتلاني أي أمر يمكن أن يترتب عليه هذا الاختضاع . . وأن تكل إلى الطرق الدبلوماسية - لا إلى أي نوع من أنواع الاختضاع بالقوة - مهمة إبعاد الدول العظمى عن أن تشتبك احداها مع الأخريات في حرب طاحنة .

ولقد نص عهد عصبة الأمم القديمة - رغم تضمنه عدة تحفظات - على فائدة استخدام قوة مجموع أعضائها في إخضاع المعتدى حتى لو كان هذا المعتدى أحد أعضاء العصبة . ولكن ميثاق هيئة الأمم المتحدة أغفل هذا كله... فمجلس الأمن وحده هو الذي يملك السلطة في الأمور التي تمس السلم والحرب.. والقرارات الخاصة بهذا العمل، بل التوصيات بشأنه حُرمت على الجمعية العامة! بل إن مجلس الأمن لا يملك إزاء حق الفيتو - الذي منح للدول العظمى - شيئاً، حتى لو كانت الدولة التي استخدمت الفيتو - هي الدولة المعتدية التي اقترح اتخاذ إجراء ضدها!

ولقد كانت الصعوبة الرئيسية التي اعترضت مناقشة المشروع الأول لميثاق الأمم المتحدة في « دامبارتون أوكس » تحوم حول « الفيتو » الذي عد الاتحاد السوفييتي وجوب ادماجه في المشروع شرطاً لقبوله عضوية الهيئة الدولية الجديدة... ولم تختلف الدول اختلافاً كبيراً في الشعور بالحاجة إلى منح الدول العظمى سلطة خاصة تستأثر بها، وإلى تركيز معظم السلطة في مجلس الأمن الذي يمكن لهذه الدول العظمى أن تسيطر، بخلاف الجمعية العامة التي تُولف على أساس المساواة في السلطة بين جميع الدول ذوات السيادة، والتي يمكن للدول الصغيرة فيها أن تسيطر باعتبار أن لها أكترية الأصوات... ولكن الفرق الحقيقي بدأ في أن تمسك الدول العظمى بحق « الفيتو »، كان معزواً إلى رغبة كل منها في أن

تحكم بنفسها في القضية الخاصة بها ... أما الاتحاد السوفيتي فقد تمسك بهذا الحق بشكل لا يمكن تبريره .

ومن اليسير أن نفهم الأسباب التي حدثت بالاتحاد السوفيتي إلى الوقوف ذلك الموقف ، فإذا نص الميثاق على أن يقترح على القرارات بأغلبية الأصوات فإن هذه الأغلبية غالباً ستقترح ضد الاتحاد السوفيتي ، وبذلك يتقرر عد الاتحاد السوفيتي مخطئاً قانوناً بحكم عالم أغلبته من الدول الرأسمالية ، أو بحكم الدول الرأسمالية العظمى إذا اقتصر حق الاقتراع على الدول الخمس العظمى .. ولا شك ان هذا هو ما كان من المؤكد حدوثه ... فمن بين الدول العظمى يبدو ان الولايات المتحدة وبريطانيا تفتان - في معظم الحالات - ضد طلبات الاتحاد السوفيتي . كما أن فرنسا التي تحاول التوفيق في بادئ الأمر تميل في النهاية إلى أن تكون ضد طلبات الاتحاد السوفيتي خشية أن تفصم عرى الصلة بينها وبين الدول الغربية ... أما باقي الدول الست الأخرى التي مثلت في أول اجتماع لمجلس الامن .. فان هولنده وأستراليا تتبعان نفس سياسة بريطانيا . والبرازيل والمكسيك تتبعان سياسة الولايات المتحدة . أما بولنده فتتبع سياسة الاتحاد السوفيتي . وتبقى مصر ... ووجهة نظر المصريين تتوقف على مجرى العلاقات بين بريطانيا والدول العربية في الشرق الأوسط .

فعلى أي وجه قلبنا الوضع نجد أن وجهة نظر الاتحاد السوفيتي تملخص في أن الشيوعية لا تزال تعد جريمة معاقباً عليها في كثير من الدول ، وقوة معارضة لنظام الحكم في معظم الدول الأخرى . ولذلك فإنها لا يمكن أن يكون النجاح حليفها عند الاقتراع على طلبات الاتحاد السوفيتي في مجلس الامن .. ولذلك رأى هذا الاتحاد أنه إذا كان عليه أن يشترك في هذا المجلس دون أن يتنازل عن وجهة نظره الخاصة فإن له أن يطلب الضمانات التي تكفل حمايته ضد أغلبية

الأصوات ، والتي تعطيه الحق في أن يقف ضد أية دولة أخرى بحيث يرغب خصومه إما على تسوية الخلاف وإما على قبول تحطيم هذه الآلة التي أنشئت لتحقيق التعاون العالمي ... ومن الواضح أن هذا كله يمكن تحقيقه مادامت أغلبية الدول تخشى عواقب ذلك التحطيم ... ولذلك فهي تتجه دائماً إلى تفادي الكارثة بقبول تسوية الخلافات تسوية ودية . . . فلو لم تكن هيئة الأمم المتحدة موجودة ولو كانت الشؤون الدولية تزاوّل بالطرق الدبلوماسية القديمة وحدها دون غيرها لساءت الأمم نفسها - كلها شجر خلاف شديد على أمر بينها - عما إذا كان هذا الخلاف جديراً بإعلان الحرب أو المخاطرة بالحرب من أجله أم لا . . . ؟

وجود هيئة الأمم المتحدة - رغم النص الرسمي في ميثاقها على نبذ الحرب - يترك تلك الأمم في نفس الوضع تجاه نفس السؤال مع فارق واحد هو أنه يتركها تواجه ذلك السؤال بعد أن تكون الأمور موضع الخلاف قد نوقشت بحضور ممثلي عدد من الدول ربما عناها ذلك الخلاف أو لم يعنها مباشرة ... وبعد أن تكون أقصى فرصة لتسوية الخلاف تسوية ودية قد أتيحت .. وكل رجال السياسة في الدول العظمى يعدون هذا الوضع - رغم أنه لا يضمن منع الحرب في النهاية - أفضل بمراحل من بقاء العالم بدون تلك الآلة الدولية التي تشرف على الاتصالات الدبلوماسية .

وهؤلاء السياسيون محقون في هذه النظرة بلاشك ، فهئية الأمم المتحدة قد تعد شيئاً تافهاً في نظر الذين يطمعون في تعاون عالمي حق .. ولكنها أفضل من لا شيء ! لأنها ترغم الدول التي يشجر بينها خلاف على أن تتسكلم ، وتعيد الكلام على مسمع من دول أخرى قبل أن تقرر إعلان الحرب !

• • •

وقد تساءل المؤلف بعد ذلك :

« هل تستطيع هيئة الأمم المتحدة أن تنجح ؟ .. »
وأجاب عليه مقررآ : ان هذا الذى ذكره كله لا يقبل فى إجماله إذا كانت
إحدى الدول العظمى قد اعتزمت شن حرب على دولة أخرى .. ولكن الواقع
ان هذا العزم لا يدور بخلد أحد .. وان الولايات المتحدة — وحدها —
هى التى لها من القوة ما يضعها فى مركز القادرة على شن حرب عالمية أخرى !
والساسة الأميركيون على بينة تامة من أن الرأى العام لا يرغب اطلاقا فى
أية حركة قد تؤدى إلى تلك الحرب .. فهناك عدد كبير من الاميركيين يلهون
بمهاجمة الاتحاد السوفيتى .. كما انهم ليسوا قلة أولئك الذين يتحدثون عن
أن الاصطدام بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أمر لا مفر منه إن
عاجلا أو آجلا ، وأنه يجب التأهب لذلك .

ولكن الذين على أهبة التفكير فى حرب عالمية أخرى على انها حقيقة
ترسم لها خطة عملية للتنفيذ فى المستقبل القريب عددهم قليل جداً ... أما
الاتحاد السوفيتى فزعماءه على بينة من انهم لا يستطيعون مواجهة حرب
أخرى بدون التعرض لسكارثة كبرى !

ومهما كانت فكرتهم عن احتمال الاصطدام بأمركا الرأسمالية ؛ أو حتى
عن أن هذا الاصطدام أمر مؤكد على مدى الأيام فان آخر شىء يريدونه
هو إثارة هذا الاصطدام الآن ... ولذلك فان زعماء الاتحاد السوفيتى يريدون
لهيئة الأمم المتحدة أن تعمل ، ولايجرؤن على أن يدعوا تنهار إذا استطاعوا أن
يدعوها تعمل بحيث لا تتدخل فى شئون الأمم الأخرى التى تتبع النظام
السوفيتى وبحيث لا توقف تغلغل نفوذه بين جيرانه !

ولكن زعماء السوفيت يأبون أى شكل من أشكال التعاون ، قد يؤدى
إلى وضع اقتصادهم تحت أى نوع من أنواع الرقابة بواسطة هيئة دولية تمثل

الرأسمالية ، أو أى نوع من النظم السياسية التي يعدها الصوفيت رأسمالية ...
وهم يأبون أية رقابة من هذا النوع قد ترغمهم على فتح مصانعهم لتفتيش
دولى حتى ولو استظاعوا في مقابل ذلك أن يطلعوا على أسرار الإنتاج الذرى ،
لأنهم يأملون - بلاشك - في أنهم سيتسيطرون على أسرار القوة الذرية قبل
مضى زمن طويل ؛ في الوقت الذي يخشون فيه - إذا سمحوا للأجانب بتفتيش
مصانعهم - أن ينكشف ضعفهم الاقتصادى الحالى ، وأن يصبح من اليسير
على الولايات المتحدة أن تصمم الخطط الحربية التي تقضى عليهم القضاء المبرم .
فهية الأمم المتحدة تستطيع أن تعمل بحق « الفيتو » ، ومن الخير أن تعمل
بهذا الحق على أن تتعطل عن العمل .

وقد يخطر هذا السؤال :

« إذا كانت الدول الخمس العظمى في مجلس الأمن قد أعطى لها حق « الفيتو »

هل كان من الواجب تركيز كل تلك السلطات الواسعة في ذلك المجلس

والهبوط بالجمعية العامة إلى ذلك المستوى التافه من الأهمية ؟ »

ويبدو أن هذا الوضع كان نتيجة حادث عارض . فالمشروع الأصيل
للبيثاق الذي نوقش في « دامبارتون أو كس » ، لم يكن يتضمن حق « الفيتو » ،
بل نص على أن الدول الحربية العظمى التي كان مقرراً أن تتحمل العمل ضد
أى « معتد » ، هي التي يجب أن تكون لها الكلمة الأخيرة . . . وكان هذا
النص يعد ضرورياً لضمان تأييد قوة عسكرية فعالة لهيئة الأمم المتحدة
إذا استدعى الأمر عملاً حاسماً ضد دولة قوية . . . وقد روعى في وضعه أن
الحرب الحديثة تجعل الدور الذي تلعبه الدول الصغيرة - من الوجهة العسكرية -
تافهاً لا يعدو تأييدها للدول الكبرى بالموارد الضرورية والذخيرة .

وتبعاً لذلك رؤى من المعقول أن تحرم تلك الدول الصغيرة من السلطة

في الاقتراع ، لو انها منحت لها لأعطاها الحق القانوني في أن ترغم الدول الكبرى أو بعضاً منها على عمل باسم - هيئة الأمم المتحدة - ضد إرادة تلك الدول الكبرى !

ولكن هذا كله لم يعد له محل بعد أن تقرر النص على حق الدول الكبرى في « الفيتو » ، لأن الغرض الأول لا يمكن تحقيقه مع إمكان أية دولة كبرى استعمال حق « الفيتو » . . ولم تعد أية دولة كبرى معرضة لأن يفرض عليها التزام قانوني بأن تعمل ضد رأيها الشخصي ، وبالتالي لم يعد هناك مبرر مقبول لحرمان الدول الصغيرة من اعلان آرائها منفردة أو مجتمعة في أى خلاف تدعى هيئة الأمم المتحدة للبت فيه .

ولعل هذا كله يصبح واضحاً إذا علمنا أن مشروع ميثاق هذه الهيئة قد وضع قبل أن يقبل مبدأ حق « الفيتو » ، وقد ووفق على ذلك المشروع في « دامبارتون أوكس » ، بينما كان الفيتو لا يزال يناقش . . وبذلك أدمج الفيتو في وثيقة دولية كان قد تم وضعها لتغطية الموقف الذي كان محتملاً أن ينشأ لو لم يكن حق « الفيتو » ، الذي منح للدول الكبرى موجوداً ! . . .

الرجل المتجرد

L' HOMME NU

شارل ميريه Charles Méré الذي أخص قصته الرجل المتجرد L'homme Nu كاتب شعبي الى أقصى حدود الكلمة . هو كاتب عنيف غاية العنف ينتج بغزارة غريبة . وكانت قصصه تمثل على غالب مسارح فرنسا وتترجم الى كثير من لغات العالم . حتى أن اللغة العربية قد حظيت بالكثير من قصصه . منها « الاغراء » ، و « اللهب » ، و « ناتاشا » ، و « الأمير جان » ، وكل هذه القصص تنجح ويصفق لها النظارة تصفيقاً شديداً لما تحتويه من المواقف العنيفة والمفاجئات الحارقة . ولكن لشارل ميريه نوع آخر اختص به ونبغ فيه مع زميله أندريه ده لورد . ذلك هو الذي يسميه الفرنسيون « جرانجينيول » Grand Guignol وهذا النوع أشد عنفاً من سابقه ! هو نوع يرمى الى إثارة أعصاب الجمهور والتأثير في أضعف نقط الاحساس البشري . يقوم على إخراج شخصيات شاذة غريبة تتصادم على المسرح وينتج عن هذا التصادم مواقف كلها هول ورعب وفزع !

وقصة « الرجل المتجرد » من هذا النوع . بل هي مثلت فعلا على مسرح « الجرانجينيول » ، فلاقت نجاحا هائلا . فهي قصة تعطيك فكرة صادقة عن ذلك النوع الشعبي الناجح . ومن الحق أن نفوز بتلك الفكرا ما دام شارل ميريه في مقدمة كتاب المسرح الفرنسي الحديث وقد أهله انتاجه المسرحي العزيز لرئاسة « جماعة المؤلفين المسرحيين »

* * *

نحن في صالون صغير بقصر آل اهورن القائم باحدى القرى النائية
ببلاد التيرول النموية وقد أخذ رب القصر الكونت اهورن Ahorn
يتحدث الى تابعه كارل Kari . والكونت اهورن - رجل في الستين من
عمره ، شرس الطباع ، عصبي المزاج ، عنيف الحركات . وتسمع أثناء
حديثهما صوت هطول الأمطار في الخارج وتفهم من هذا الحديث أن
الأهالى يتحدثون عن ظهور الذئاب باحدى القرى المجاورة . ويتناول
اهورن أثناء ذلك سوطا من السياط التي تستعمل في الصيد . ثم يدور في
الغرفة فيلاحظ على أحد الأدرج أنه مفتوح ويسأل كارل في فرع عما إذا
كانت زوجته قد دخلت الى الصالون أم لا . ويظهر الرعب على وجه كارل
وهو ينظر الى السوط ثم يخرج ليرى الكونتس في غرفتها ويعود فيطمئن
سيده بأنها في غرفتها لم تغادرها .

ثم يقبل أحد الخدم فيخبر سيده بأن هناك سيارة واقفة أمام الباب
وفيها شخص جريح في حاجة الى الاسعاف . فتظهر الدهشة على وجه اهورن
ويتهر الخدم لسماحهم لذلك الغريب بالوقوف أمام القصر ولكنهم
يفهمونه أن ذلك الغريب في خطر . وقد علم بأن رب القصر كان
طبيبا فيما مضى فحضر اليه ليسعفه . وعندئذ لا يرى اهورن مناصا من أن
يسمح له بالدخول فيدخل ذلك الرجل بعد قليل مستندا الى ذراع أحد
الخدم وقد سال منه الدم فاذا به مهندس إيطالى يدعى البرتو دمينيكو
Alberto Domenico كان يقود سيارته في الطريق الملتوى فاصطدمت به وشج
زجاج نافذتها وجهه . وتشعر من أسئلة اهورن له أنه يخشى أن يكون ذلك
المهندس جاسوسا أرسله بعضهم اليه ولكن البرتو يجيبه بأنه لم يسمع باسمه
من قبل ولم يحدثه أحد عنه . ويقوم اهورن باسعافه وتضميد جراحه .
فاذا طلب منه البرتو أن يضيفه في قصره حتى الصباح ظهرت على وجه
الكونت علامات الرعب ورفض . ويدوى في هذه الأثناء صوت الزوجة

في الخارج . ويلج البرتو في التوسل الى أهورن أن يسمح له بالمبيت الليلة في القصر . في أي مكان . فيرضخ أخيراً . ويستدعي أحد الخدم ليرشد الضيف الى المكان الذي يبديت فيه . ويسمع في تلك اللحظة صوت عواء حيوان كأنه صادر من أعماق القصر . عواء فظيخ يدل على الألم . ويسأل البرتو عن سر ذلك العواء . فلا يجيبه أهورن . ويتحدث الاثنان عن الصيد فيذكر أهورن لضيفه أن بلاد التيرول صالحة للصيد . فيها كثير من الذئاب والذئبة . ويشير الى جلد ذئب معلق في الحائط ويسرد له قصته . فقد خرج يوماً مع زوجته الكونتس الى الغابة بعد زواجها بقليل منذ عشرين عاماً فهاجمها ذلك الذئب ولكنه تمكن من أن يغرس في جسمه سكيناً ويقتله وتقبل الكونتس بعد قليل فاذا بها في الخامسة والثلاثين من العمر تدعي أدويج Edwige يقدمها زوجها الى البرتو فلا تكاد تعلم أنه سيديت في القصر حتى تسأل مذهولة — هنا؟

أهورن — « يوجه اليها نظرة امرأة » آه ! أجل !

أدويج — آه !

ويضحك أهورن ضحكة غريبة . ويرتفع صوت العواء ثانية عواء الحيوان المجهول من بعيد فترتعد أدويج وتصيح — رودلف! ... رودلف! أسمع؟ لكن أهورن يجلسها رغماً عنها ويقول — آه! حسناً... لا شيء!

ثم يذهبها إلى أنها لا يجب أن تبدو أمام الضيف بهذا الضعف العصبي . فاذا عاد الرجلان الى تبادل الحديث . جلست الكونتس تعزف على إحدى الآلات الموسيقية ولكنها بعد قليل تقف عن العزف وتضع وجهها في يديها ثم تبكي ... ويخلو البرتو الى أدويج فيذكر لها أنه يشعر بأنها تعيش في هذا القصر عيشة تعسة لا تتفق مع ميولها ورغباتها وتكتب

الكونتس كلمة في ورقة ثم تمد يدها وتضعها على المائدة وتدنيها من جهة البرتو فيتناولها ويقرأ ما فيها (النجدة ١) فاذا عاد الكونت أسر إليه تابعه كارل شيئاً في أذنه ويلاحظ البرتو وهو يخفي الورقة فيتقدم إليه بسرعة ويطلب إليه أن يريه تلك الورقة فيرفض ويلقي بها الى النار فتلتهمها قبل أن ينالها أهورن . ويخرج البرتو مع كارل ليذهب به الى المكان الذي سوف يقضى فيه الليل . ويرتفع ذلك العواء العجيب مرة أخرى ويظهر التأثر على وجه أهورن وتبدو عليه الرغبة في أن يخفي صوت ذلك العواء المرتفع فيتقدم الى الآلة الموسيقية ويعزف عليها نفس النغم الذي كانت تعزفه ادويج .

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في غرفة الكونتس في الطابق الثاني من القصر وقد أرخى الليل سدوله ولم يعكر صفوه سكونه الخيم إلا صوت الآلة الموسيقية التي يعزف عليها الكونت . وبعد قليل يسمع صوت أقدام تقترب من باب الغرفة وصوت أهورن يقول من الخارج :

- ادويج ! ادويج ! أتنامين ؟

ولما لاتبجيه ينصرف فتقبل ادويج على بعض العرائس الخشبية تتناولها من أيديها وتداعبها كما لو كانت أطفالاً أحياء . ثم تذهب ببطء إلى المقعد الطويل فتضع إحدى العرائس عليه كما لو كانت ترغب في أن تدعها تنام ثم تتطور فجأة وتلقى بالعروس إلى الأرض في ثورة غضب هائلة .

ويسمع دق على النافذة ويظهر فيها شبح رجل هو البرتو دومينيكو فتفتح له ادويج بعد تردد ويذكرها بأنها كتبت له تستنجد به . فتطمئن إليه وتخبره أنها سجينه في ذلك القصر الذي تجرى به أشياء عجيبه شاذة خطيرة . وأن الكونت أهورن رجل مستبد متوحش يحكم القصر ومن فيه بالسوط غرامه في أن يخضع كل من يقع تحت يده . وهي تسأل البرتو عما إذا كان مسلحاً فيجيبها بأن لديه مسدسه . وتعود فتسهب في وصف وحشية الكونت وتحذر البرتو من شره فليس لديه إلا استعباد الناس كما يستعبدها هي وكما

يستعبد كارل وغيرهما . وهي تخبره أنها تقضى أيامها وحيدة تصلى وأحيانا
تسمع صوت تنفسه خلف الباب كتنفس حيوان . فإذا صاحت أو استنجدت
دخل عليها والسوط في يده . فهو يتلذذ باخضاع الغير واذلاله . ويسأل
البرتو عن سر ذلك العواء الذى يدوى فى أرجاء القصر فتجيبه أنه صوت
ابنها ! ويدهش الضيف ولكنها تؤكد له ذلك فهو ابنها من أهورن ومع
ذلك فقد سجنه أبوه . وهو يبلغ الآن العشرين من عمره . ويتسائل البرتو
عن سبب تلك المعاملة الشاذة . فتجيبه بأن أهورن يعتقد أنه ليس ابنه
ولذا رباها كما تربي الحيوانات والذئاب . إذ ربطه بالسلسلة وعوده على تلقى
ضربات السياط ! وهو يدعى أنه ليس إنسانا وبل ابن مخلوق مجهول .
حيوان أو شيطان نالها أثناء نومها ! وهي تؤكد أن أهورن مجنون ويتجلى
جنونه فى ذلك الثأر الذى يصبه على ابنه وابنها . وهي تكرر له أنه حرما
من حبا لذلك الابن ومن رؤيتها إياه . فهى لم تره منذ عشرة أعوام إلا مرة
واحدة . فإذا به كبر وأصبح فى حجم الرجال ولكنه متجرد من الثياب
يرتدى أطارا بالية تتركه نصف عار . ثم تتقدم إلى أحد الأدراج وتخرج
قميصا بشعا مما يستعمل فى تقييد حركات المجانين وتخبر البرتو أن هذا القميص
يستعمله أهورن فى تقييد ابنها رودلف . ثم تقول :

— كالمجانين ! . . ولكن الساعة تقرب . . فسوف أطلق سراح
رودلف . . ان الذى يحول بينى وبين رودلف هو الكونت أهورن
• تتناول سكيننا من سكاكين الصيد • سأقتله . . ! وهنا تتحرك قبضة باب الغرفة
ويسمع صوت أهورن من الخارج ينادى ادويج أن تفتح له إذ أنه يسمعها
تتكلم ويريد أن يعلم من الذى معها . فلما لا تجيبه يقنم الباب ويدخل وفى
يده السوط ولكنه لا يكاد يرى البرتو حتى يخرج صرخة دهشة هائلة .
وتراجع ادويج إلى الورا . ويحاول أهورن أن يضرب البرتو بالسوط ولكن
الآخر يخرج مسدسه . وتنزه ادويج هذه الفرصة فتضع القميص البشع
فوق رأس زوجها وتقيده به حركاته . ويحاول أن يقاوم فلا يستطيع

وتتناول ادويج السوط وتصيح في سخكة مجنونة .

-الآن.. أنا السيدة الأمرة هنا !

ثم تخرج من جيب أهورن مجموعة من المفاتيح وقبل أن يتمكن البرتو من منعها تغادر الخرفة بسرعة وتغلق الباب خلفها . ويحاول البرتو أن يفتح الباب فلا يستطيع . وعندئذ يخبر أهورن ضيفه أن زوجته مجنونة ويتوسل اليه أن يرفع ذلك القميص عنه لأنه يكاد يخنق . فيفعل البرتو ذلك ويساعد أهورن على الجلوس . ويبدأ الكونت في شرح ذلك العواء ذلك أنه كان قد سبق فذكر له كيف أن ذئبا هاجمه هو وزوجته في الغابة بعد زواجهما بشهرين وقد أثرت تلك الحادثة على أعصاب زوجته التي كانت حاملا إذ ذاك تأثيراً شديداً . حتى أنها لما وضعت كان المولود مخلوقاً عجيباً شاذاً . له أعضاء وفم حيوان ومع ذلك فهو ابنه وابنها ! وقد حاول أن يخرج عن ذلك الطور الحيواني وطالما قضى أياماً كاملة بجواره يحادثه ويلقنه كيف ينطق الألفاظ الأولى كما يفعل الأطفال . ويحاول أن يوظف فيه شيئاً من الذكاء البشري . وقد كبر وأصبح رجلاً . ولكن أي رجل ! أنه الرجل القطري . الرجل المتجرد من العقل . وأحياناً يكون أشد توحشاً من أشد الذئاب وحشية ولذا يجب إخضاعه وهو لا يأكل وإنما يبتلع الطعام كالحيوانات . وبعض وله شهية غريبة للحم والدم وقد لا يتردد في أن يبتلعه إذا لم يكن يخاف منه . فهو وحده الذي يستطيع أن يقترب منه . أما أمه فلم يرها قط ولو رآها لقتلها وأفترسها . وهو يفضل أن يراها مجنونة على أن تقتل ويذكر الكونت أثناء هذا الحديث أنه يحب ابنه أكثر من حبه لأي شيء آخر وأن رودلف كثيراً ما يفهم غرضه فتسيل الدموع من عينيه ويجثو تحت قدميه وهو يصيح « أبناه ! أبناه ! » ويلتمس العفو منه .

ويرتفع فجأة صوت ذلك العواء الذى سمعناه فى الفصل الأول فاذا هم
اهورن بالخروج وجد الباب مغلقا . وفى تلك اللحظة يفتح الباب ويظهر
كارل ومعه مجموعة المفاتيح ووجهه مخضب بالدماء وقد تمزقت ثيابه . ويفاجأ
الكونت بقوله أن رودلف قد انطلق من السلسلة وأخذ يحوم فى أرجاء
القصر ينادى والده ويبحث عنه بعد أن عض والدته الكونتس وألقاها
على الأرض . ويسمع العواء مقتربا . ويأخذ الكونت المسدس من البرتو
ثم ينادى كما تنادى الكلاب .

— رودلف !

ويظهر رودلف ثم يتقدم وقد مد يديه إلى الأمام كما لو كان يسير على
أربع . وطالت محالبه وبدا أثر الدماء على فمه . ولا يكاد يلح اهورن حتى
يسرع إليه فيأمره أن يجثو على ركبتيه فيخضع ويسأله عن السبب فى تلك الدماء
التي تخضب فمه . ثم يضربه بالسوط عدة مرات ... وعندئذ تقبل أوديج وهى
تصرخ وقد عضت فى عنقها وذراعيها وتمدلت ثيابها فاذا التفت إليها رودلف
عوى وقبل أن يتمكن اهورن من منعه يهجم عليها ويعض رقبتها فيهوى
الكونت بالسوط عليه . ويتناول البرتو الساكين من كارل ثم يغرسها فى
ظهر رودلف فيترنح ويسقط تحت قدمى أهورن . وعندئذ يهرب كارل
ويتبعه البرتو . وتهوى اوديج على المقعد وهى تشخص إلى رودلف
يتوجع ويتألم ... وتنتهى القصة بهذا الشكل الهائل

رودلف « تحت قدمى اهورن » — هنا .. هنا .. « يشير إلى جرحه »

أتألم . أتألم .. أبتاه ! أبتاه .. !

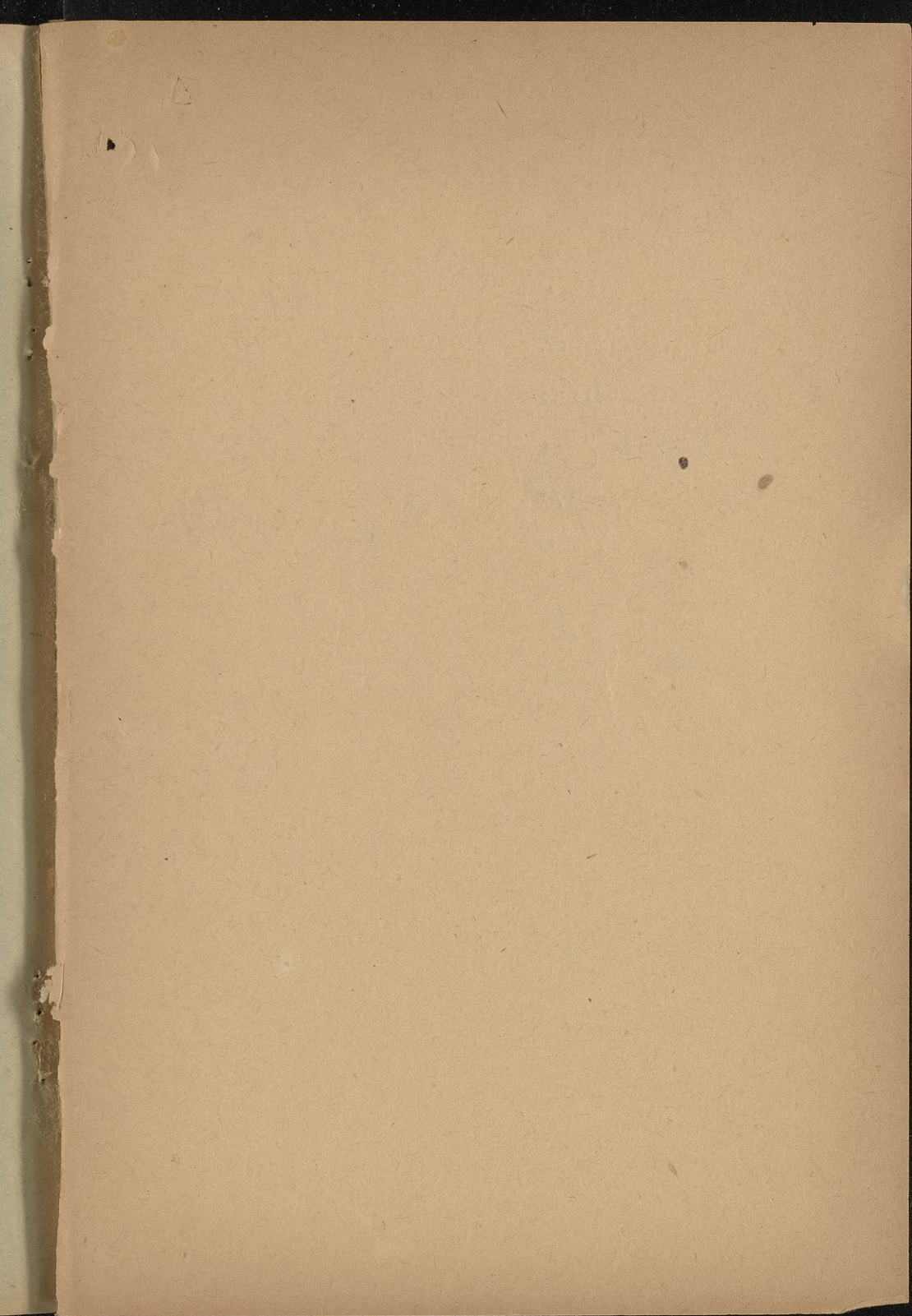
« اهورن يضمه بين ذراعيه بحنان »

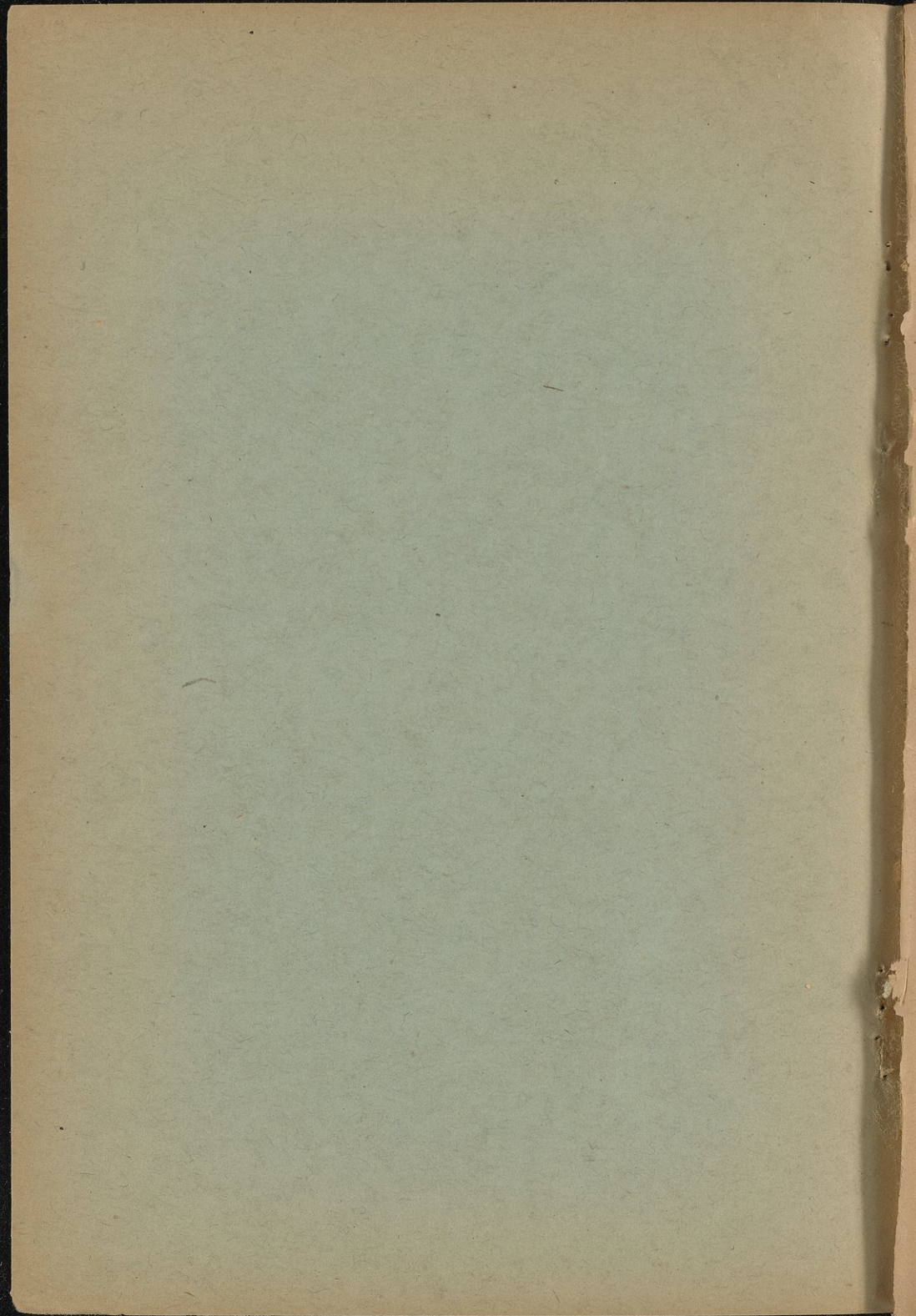
اهورن — رودولف ! .. رودولف ! آه ! .. « يقف وقد جن من الحزن »

لقد قتلوه !

فهرس

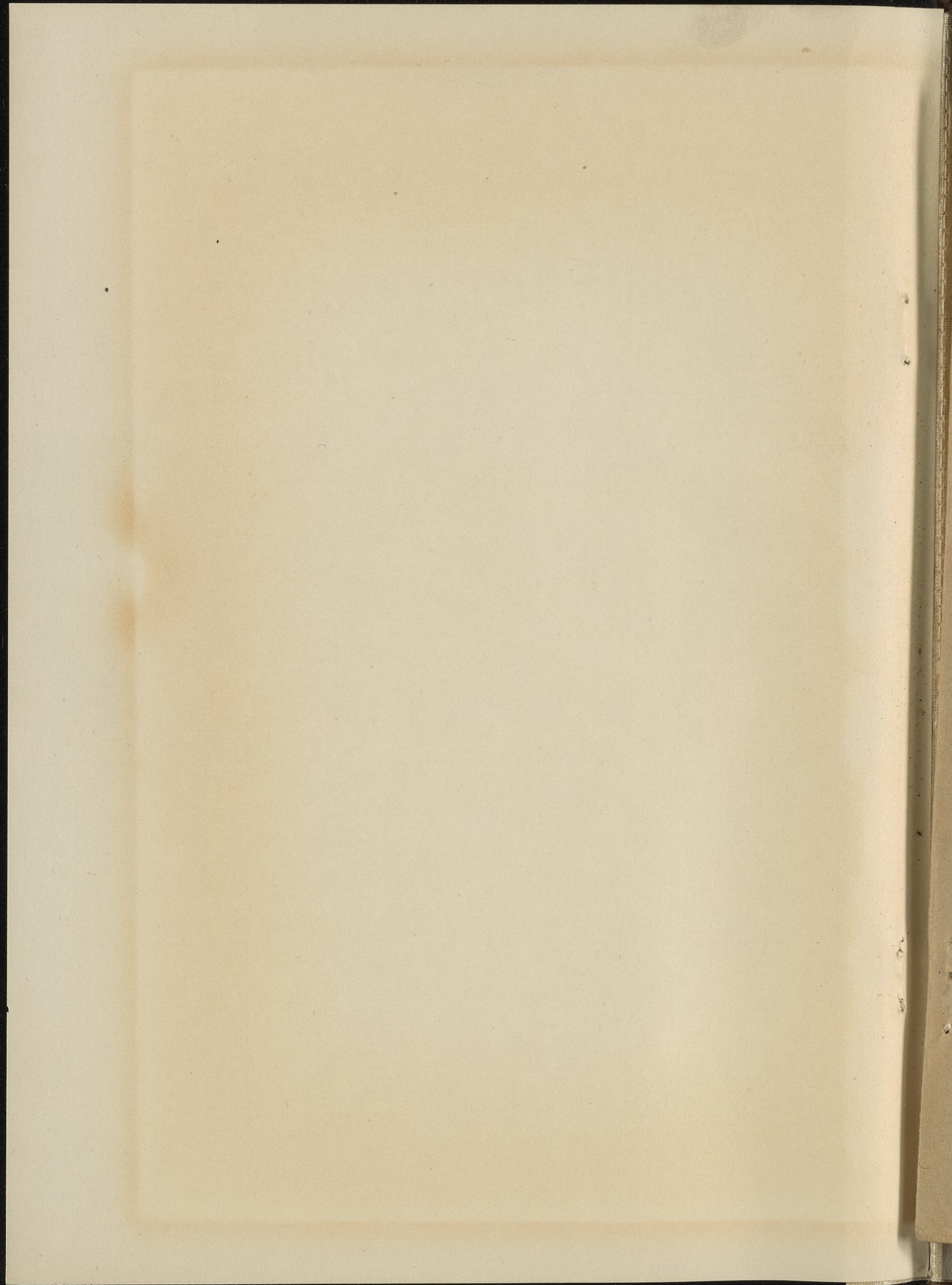
صفحة	صفحة
٤٩ الميزان	٩ الإسلام أمام العصر الحديث
٥٨ في داخل الولايات المتحدة	١٦ السبحة
٦٥ راقصة ماتت	٢٦ مسألة ليليا
٧٤ عالم ما بعد الحرب	٣٣ ليلية في الجبهة
٨٢ الرجل المتجرد	٤٣ هذه امبراطوريتكم

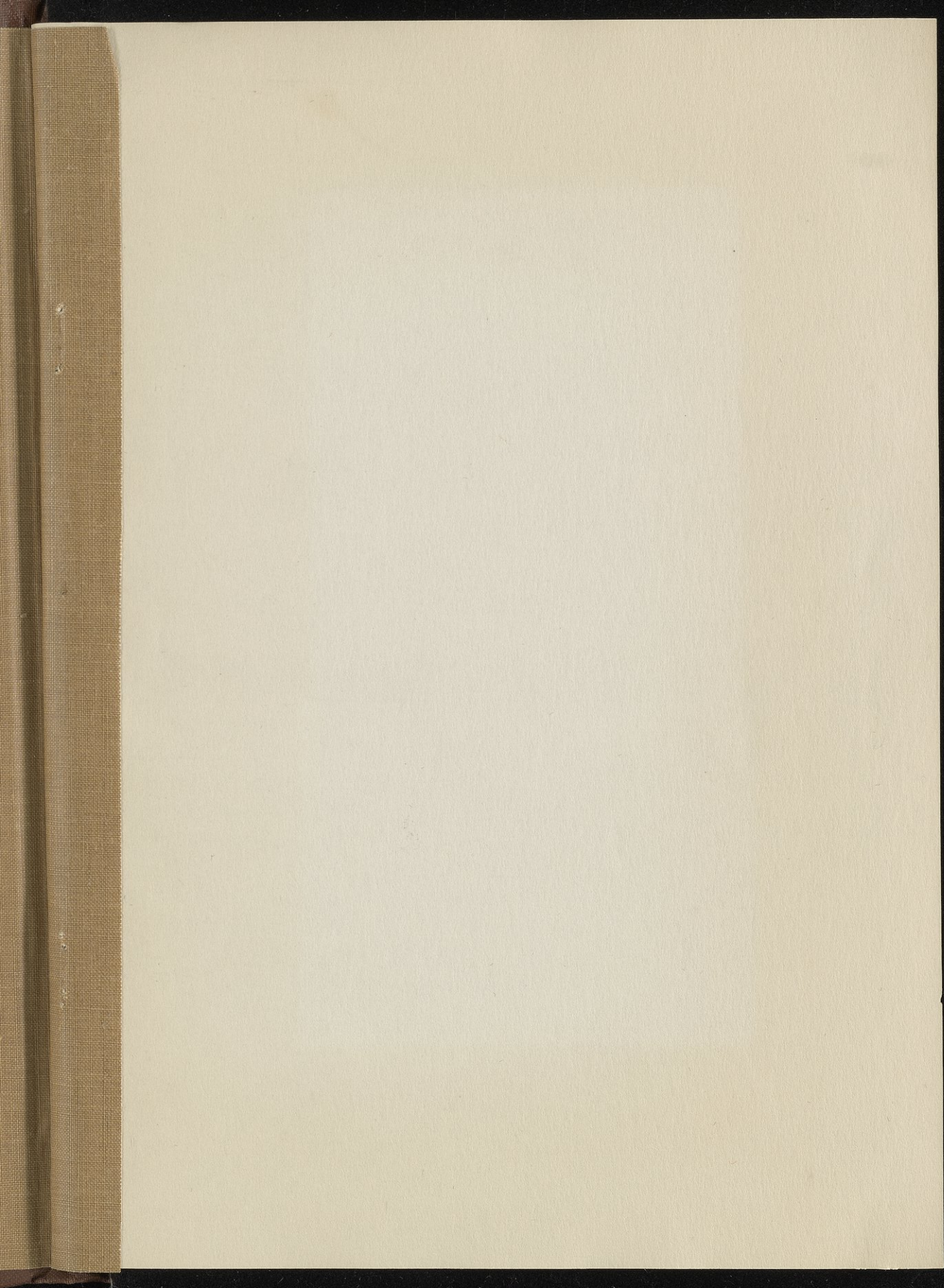




طبعة دار المستقيم

تأليف محمد الرحمانى ٢٨





893.785
K128

BOUND

JUN 19 1959

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58891625

893.785 K128

Qari bayna ashrat ku

893.785 - K128